روايات
ALHAN
ألحان

أميرة النشل

١٢٠

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	5S	CanadA
سوريا	٧٥ ل	الإمارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	1.5	U.K
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	15F.F	France
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د	1200Drs.	Greece
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	1.5 P.	CYPRUS

تأوهت "شيرين" وهي تتوسل لـ"شانكي" :

- أرجوك يا "شانكي" امنعه !

أجاب الأخير وهو يسقط بجوار البوفيه :

- لا أستطيع أن أفعل شيئا . لقد أحس "إيرول" بالإهانة وهو الوحيد المسؤول عن رد شرفه .

- ولكن ألا ترى أن الآخر أبرز مديته ؟

- اطمئني.. إن "إيرول" ليس مبتدئا وسيجتاز الموقف .. هل يمكنني أن أحصل على مشروب ؟

- اخدم نفسك بنفسك .. آه ! السكين يا "إيرول"... كن حذرا !

قال "شانكي" بصوت من أوشك أن يفقد وعيه :

- لا تحدثي ضجة يا " شيرين " وإلا لما استطاع " إيرول " أن يركز...

الغلاف الأمامي

تعيش "شيرين" في بلدة "شيروكي" الصغيرة التي تقع في وسط الغرب الأمريكي وسط مجموعة من الجبال تحيط بها وتكاد تعزلها عما حولها من بلدان. وهي تمتلك وتدير المقهى والملهى الوحيدين بالبلدة بمشاركة شخص آخر.

تفاجأ في أحد الأيام بوجود شخص نائم في البانيو في حمامها وقد استغرق في نوم عميق، الأمر الذي أصابها بالرعب.

وعندما تملكت شجاعتها أيقظته وسألته عن سبب وجوده أخبرها بكل وقاحة وجراة انه حطم كالون الباب وأعطى لنفسه الحرية في استخدام البانيو لإزالة وعثاء الطريق الوعر والسفر الطويل من بلاد البترول إلى الوطن، وانه مر بـ"شيروكي" بناء على طلب شقيقها الذي كان يعمل معه في حقول البترول ليطمئن عليها، وانه منتظر وصول امتعته وفرض نفسه عليها لحين وصول تلك الأمتعة.

تجد الشابة نفسها مجبرة على قبول استضافته لأنه لا يوجد فنادق أو أية أماكن للإقامة في البلدة ويساعدها في إدارة الملهى عند غياب شريكها لعذر عائلي قهري حيث تقع في حبه وهو حب مجنون يائس؛ نظرا لأن ذلك المغامر لا استقرار له في أي مكان وليس من النوع الذي يرتبط ارتباطا ابديا.

شخصيات الرواية

- "شيرين كول" : شابة تمتلك مقهى وملهى بـ"شيروكي" وتعيش بمفردها نظرا لأن والديها يعيشان دائما حياة الترحال.
- "إيرول ساجان" : شاب مغامر ووحيد، عاش عشر سنوات في عمل شاق، يعود بعدها إلى الوطن ولا يعرف ماذا يفعل بالنسبة لمستقبله.
- "باري هوليت" : شريك "شيرين" في امتلاك الملهى وإدارته.
- "كاستور كول" : شقيق "شيرين".
- "ميتزي" و"كارمن" : ساقيتان في ملهى "ميراج".
- العمة "باتي" سيدة عجوز. طيبة ومحبوبة من أهل "شيروكي".

الفصل الأول

- رجل في البانيو؟ رجل في بيتي؟!

نزعت "شيرين كول" عينيها من فوق المذكرة التي تركتها السيدة "هندرسون" وركزت عينيها فترة طويلة على الجدار المقابل. ثم بدت وكأنها تخرج من كابوس فطرفت بعينيها ثم أعادت قراءة المذكرة.

كانت "جير ترود هندرسون" قد قررت أخيرا القيام بزيارة ابنتها وترك نباتاتها الأربعة والعشرين في ضيافة "شيرين" وهذا ليس بالأمر المستغرب. وحسب التعليمات التي تركتها يجب معاملة تلك النباتات بالاحترام الواجب مقرونا بالحب، وغسلها والحديث معها كل يوم بصوت رقيق.. إلى هنا والأمر طبيعي.

ومع ذلك عندما وصلت "شيرين" إلى الممر التالي أحست بالقلق والتوجس يغمرانها عندما تذكرت قول جارتها: "لقد وضعت بعض بناتي (تقصد النباتات) في حجرتك بسبب الشمس. فلا تقلقي. وقد

حرصت أثناء مروري على عدم إزعاج الرجل الموجود في البانيو. إلى اللقاء قريبا يا عزيزتي! توقيع "جيرترود هندرسون".

فردت "شيرين" طولها ونفخت صدرها الرائع وتجهمت أساريرها ثم قررت أن الوقت حان كي تؤدي أعمال المنزل. ولكن لا! حين وجدت الوقت الكافي للقيام ببعض المشتريات وجدت في بيتها ليس فقط غابة من النباتات ولكن أيضا رجلا في البانيو في حمامها. تاوهت "شيرين كول" وهي تربت ساهمة شجيرة لبلاب:

- إنه لا يحدث لي سوى حوادث غير معقولة. ساجعله يرقص هلعا ذلك المقتحم واضع اليد على شقتي!

سارت "شيرين" بوقار جدير بزعيم من زعماء الهنود الحمر واتجهت نحو حجرتها ودارت حول النباتات الموضوعة في الأصص ثم أدخلت راسها خلال باب الحمام.

تراجعت في الحال وحاولت أن تسترد أنفاسها. لم يكف ذلك المخلوق ان يتمدد في البانيو ولكن كانت لديه أيضا الوقاحة بان يتمدد فيه وهو عار! أخذ قلبها يدق بلا انتظام وحاولت "شيرين" ان تتماسك وهي تعبر العتبة في خطوات حذرة. كان الدخيل المقتحم ينام كالملاك، وقد فتح فمه وأسند رأسه على سيراميك البانيو. إنه لم يصب الماء الساخن في البانيو فحسب، وإنما أيضا استخدم بسخاء أملاح الحمام الرغوية الغالية والمسماة "ليلة مدللة" والعزيزة جدا على "شيرين". كان جسده مغطى بجبل من الرغاوى المعطرة. ورغم ذقنه سيئ الحلاقة وزوايا وجهه الحادة فقد كان الزائر يتمتع بجاذبية عارمة: كانت بشرته برنزية وشعره بلون أزرق كحلي وأنفه مستقيما والشفتان رقيقتين وواضح انه يتمتع بصحة قوية.

تقدمت "شيرين" بخطوات الذئب وقد بهرتها شفتاه المفتوحتان. هل

تتجرا وتهاجمه؟

طبعا المجهول يصدر شخيرا يدل على استغراقه الشديد في النوم ولكن لو أن كتفيه العريضتين المدفونتين وسط الرغاوى وذراعيه بارزتي العضلات قررت الدخول في المعركة فإن الشابة تخاطر كثيرا بنفسها. من الأفضل أن تمتنع وتترك ذلك الجدار حتى يستيقظ بطريقة طبيعية.

وجدت "شيرين" صعوبة في كتم ضحكتها عندما رأت ركبتيه تبرزان من بين الرغوة كقمتي جبلين للجبين ولا صلة لهما ببقية الجسم الخاص بالرجل.

على أية حال لقد كان مليحا للغاية حتى إنها غفرت له هذا العيب ومع ذلك لم يمنعها ذلك من التحرك والعمل الفعلي. صاحت:

- إيه.. يا سيد! اخرج من البانيو الخاص بي!

لم تتلق ردا.

- لقد انتهت التعسيلة يا وغد!

دائما لا رد.

انحنت واخذت تبحث أين يمكنها أن تلكز هذه العينة البشرية الرائعة. في اللحظة التي استعدت لدس يدها في هذه المنطقة المجهولة التي اختفت تحت الرغاوى من ملح "ليلة مدللة". بدأ ينتابها الشك. ربما لم يكن رجلا وإنما كان تمثالا مما يستخدم كمانيكان في عرض الملابس في واجهات العرض، في هذه الحالة اليس من الأفضل أن تتصل بمامور الشرطة؟ لا.. إن "شيرين" لن تستطيع أن تشرح لماذا تسلل هذا المجنون إلى بيتها واخذ فيه راحته. خاصة وان رجل الشرطة لم يغفر لها أنها استقبلت في بيتها من اسبوع ديكا مجروحا أيقظ كل سكان العمارة من الساعة الثانية صباحا لقد احدثت تلك الواقعة في هذه البلدة الكثيفة فتنة شعبية حقيقية. قالت بملل:

- هيا أيها اللعين.

قرنت القول بالعمل فوخزت انف الرجل المجهول. كان رد الفعل غير متوقع. حيث قفزت ذراعه كالثعبان من وسط الماء وقبضت اصابعه الفولاذية التي لوحتها الشمس على رسغ الشابة الرقيق.

صرخت "شيرين" بعد أن حشرت ساقيها في قاعدة البانيو حتى لا تسقط في الحال.

- النجدة.

سقطت على ركبتيها والتقت عيناها بعيني المجهول. كانت عيناه ذواتي حدقتين سوداوين واسعتين. احاطت بهما رموش طويلة جدا ومقوسة. تلعثمت الشابة التي استردت سيطرتها على نفسها في الحال عندما تذكرت الوضع وحالته:

- صبا... صباح الخير! ما الذي تفعله في البانيو الخاص بي يا سيد؟ أرجو على الاقل ان تكون مرتديا مايوها؟

قال الزائر المجهول بصراحة ودون مواربة وهو لايزال يبدو عليه النعاس:

- لا. لقد خلعت كل ملابسي الداخلية قبل الدخول في البانيو.

كان الرجل قد سمع صوت الأرغن القوي الصادر من الكاتدرائية. ارتجفت "شيرين" واوشكت ان تفقد اعصابها. تذكرت في الوقت المناسب أن مستخدم البانيو لايزال ممسكا برسغها.

- هل يمكن أن تترك رسغي من فضلك؟

خفف من قبضة أصابعه دون أن يترك سجينته. فجاة ودون توقع ابتسم لها. كانت ابتسامته تشبه ابتسامة الطفل السعيد، وكانت فاتنة لدرجة انها فغرت فمها وظلت على هذه الحالة. تصورت أن عينيه السوداوين قد انفتحتا لتكشفا عن جنة الفردوس التي تحتويهما.

اخذت تبتلع ريقها عدة مرات بصعوبة. احست في تلك اللحظة أن كل ما تمنته نالته. قالت:

- هل يمكن أن تطلق سراح رسغي؟

اختفت الابتسامة واصبحت تقاطيع المجهول قاسية وهو يعلن:

- مستحيل!

دهشت "شيرين" امام ما سمعته:

- لماذا؟

- لانني اخشى في المرة القادمة ان تلكمي جيوبي الأنفية.

قهقهت "شيرين":

- إنك لا تنقصك روح الفكاهة. وبهذه المناسبة احب ان أشير إلى انك في البانيو الخاص بي. لماذا؟ ارجوك اشرح لي كيف دخلت شقتي؟ ومن سمح لك باستخدام زجاجة املاحي الخاصة برغاوى الصابون المسماة "ليلة مدللة"؟

- "ليلة مدللة"؟ ما الذي تحكينه؟ هل تقصدين شيئا معينا؟

- إنها ماركة معروفة لأملاح الرغاوى يا سيد!

إنها ماركة الأملاح التي أستخدمها في حمامي. ثم هل يمكن ان ناخذ هدنة من الكلام؟ إنني أطلب منك أن تخرج من البانيو الخاص بي في الحال.

مرة ثانية بدا وكان الزمن توقف. وجدت "شيرين" نفسها في العالم المخملي الذي يلغي المسافة بين الناس، لان ابتسامة الرجل المجهول احدثت مرة ثانية معجزتها. قال متهكما:

- إذا سمحت ناوليني ملابسي الداخلية.. وإلا وجدت نفسي مضطرا للخروج من الماء كما ولدتني امي.

اصيبت "شيرين" بالهوس.. لقد نسي اللعين انه يمنعها من الحركة.

قالت له :

- إنني لا أحب الاستعراضات. إذن من الأفضل أن تترك رسغي حتى أحضر لك ما تستر به نفسك.

- هل تعدينني ألا تلمسي أنفي؟ إنه حساس للغاية .

- أعدك.. إذن هل تتركني؟

فجأة أدرك الجمال الذي كان يمسك به تحت رحمته: كانت قامتها رقيقة وعيناها بزرقة مميتة، وشفتاها مثيرتين لدرجة الاضطراب. وقد ارتدت الجينز الضيق الذي أظهر تقاسيم جسدها الرائعة وبرزت أسفله ساقان ملفوفتان وكأنما خرطهما مثال.

لم تنتبه "شيرين" لعملية الفحص التي يقوم بها رجل البانيو المجهول. وقفت في مكانها وقد اشتعلت عيناها، وأخيرا لم تعد تطيق أكثر من ذلك فقالت:

- الآن وقد متعت عينيك هل يمكنني أن أعرف من أنت؟

- "ساجان".

- لا !

- بل نعم يا عزيزتي. أنا "إيرول ساجان" وسني إحدى وثلاثون إذا كنت تريدين أن تعرفي. وهذا يعني أنني لن أسمح لامرأة أن تسحبني من أنفي خاصة وهي طفلة أصغر مني بعشر سنوات.

- لم أعد طفلة يا سيد "ساجان" واعلم أنني أبلغ من العمر أربعة وعشرين عاما وليس لدي نية أن أدع أحدا يخدع في سني.

- فهمت .

- الذي من الواضح أنك لم تفهمه هو أنني سأستدعي مأمور الشرطة عن طريق شرطة النجدة. وأتعشم فقط أن يكون قد نسي موضوع الديك. على أية حال إنني أدفع ضرائبي وبذلك يكون لي الحق في خدمات

رجال الشرطة. إنه سيجبرك على الخروج مطرودا يا سيد مجهول.

- "إيرول ساجان" تحت خدمتك. ما موضوع الديك؟

- كان يسير على الرصيف وهو يعرج. لقد أحسست نحوه بالشفقة فحملته إلى البيت. عالجت مخالبه المصابة والنتيجة أن ذلك الحيوان لم يكف عن الصياح ابتداء من الثانية صباحا. بدا وكأن في صدره ساعة رنانة. طبعا تحرك الجيران لدرجة أنه في نهاية الأسبوع وجدت مأمور القسم عندي. وضعت الديك رغما عني في مزرعة دواجن. لقد نال شهرة مدوية حتى إنني اضطررت للذهاب إلى مدينة "جاسبر" حتى أعثر على مزارع لم يسمع عنه وعن شهرته في الصياح المنظم وقبل أن يتبناه.

قطعت "شيرين" حديثها وظلت فترة تحلم. كشف لها "إيرول" عن عينين واسعتين شديدتي التعبير. أحست بعاطفة غريبة تغمرها وبمعدتها تتقلص. من الأفضل لها أن تقطع الصمت. قال :

- يبدو لي أنك كنت مستعدة لاستدعاء شرطة النجدة.

- فعلا هذه نيتي. ما لم يكن لديك إجابات مقنعة ترد بها على أسئلتي.

- أية أسئلة؟

- ما الذي تفعله في البانيو ؟

بدأت تحس بالحنق وعلا صوتها بسبب عدم اكتراثه وبرودة أعصابه، وأكملت الأسئلة:

- كيف دخلت شقتي؟ ثم على الأخص من أنت؟

- لا بأس.. لا بأس. لقد فهمت. وسألخص لك باختصار الوضع لأن الرغاوى بدأت تختفي.

- فكرة طيبة. هيا أسرع !

- حسنا.. لقد سطوت على البانيو بعد خمسة أيام وأربع ليال في مطارات متربة كل منها أقذر من الآخر. وكذلك في الطائرات المثيرة

للتقزز ووجدت نفسي في حاجة إلى إزالة ما علق بي من وسخ وقاذورات. وقد دخلت شقتك بعد أن كسرت الكالون. لقد بدت شقتك أكثر تحضرا من المكان الذي أتيت منه. هذا كل ما هناك.

- ولكن لماذا شقتي بالذات؟ ما الذي ارتكبته حتى تعاقبني السماء بهذا الغزو ؟

بدت الدهشة على "إيرول".

- هل سبب زيارتي هو الذي أدهشك؟ في هذه الحالة أقول لك: إن "كاستور" هو الذي طلب مني أن أقوم بزيارتك للتحري والتأكد من أنك بخير. وأتعشم أن تعطي حركتي هذه التقدير الذي تستحقه. لأن مدينة "شيروكي" التي حضرت منها تقع في أقصى حدود "أريزونا" وعلى بعد كيلو مترات كثيرة عن أول مدينة متحضرة.

قاطعته "شيرين" في حنق:

- لا داعي للمبالغة.

قال ثائرا :

- ولو قلت لك: إن النعش الطائر الذي عبرت به هضبة "كولورادو" لا يربطه سوى ثلاثة أشرطة وثلاثة مسامير هل تعتبرين ذلك مبالغة ؟

علقت "شيرين" وهي تنظر إلى الماء ولا ترى شيئا حيث غطت الفقاقيع جسده:

- أخي هو الذي أرسلك لتعرف أخباري. دعني أفهم جيدا.. هل هو فعلا "كاستور"؟ أخي؟

- هل تعرفين آخرين يحملون نفس اسم الشهرة؟

- وما الذي يثبت لي أنك تعرفه؟

- لأنني عملت معه في الحقول البترولية التي يمتلكها الجيش. و"كاستور" سنه ثلاثون سنة وهو أشقر وطوله متر وخمسة وثمانون

سنتيمترا وهو قوي مثل المصارع التركي. لقد أخبرني أنهم سموه "كاستور" لأنه وهو طفل كان دائما غارقا في مجلدات حيوان القندس خاصة الكتاب المعنون بـ: "القندس الطيب إما أن يقرض أو يعض". ولما كان قد أدرك أنه يجب عليه التوقف عن العض لأنه كبر عن أن يصبح كلبا انهمك مع أقلامه الملونة وقد غطى مكتبه من أوله لآخره بنقوش محفورة في الخشب وهو يقول: إن ذلك كان يساعده على التفكير. أما بالنسبة لك يا "شيرين" فأنت أخته الصغرى وعندما علم أنني عائد للوطن فقد انتهز الفرصة ليطلب مني أن أقوم بزيارة مجاملة وأدب .

- فهمت .

- ومع ذلك يبقى أن أطلب منك شيئا يا "شيرين" هل أنت في حاجة إلى أي شيء خاص؟

بدأ الشاب ينهض بجسده الضخم. أصيبت "شيرين" بالهلع وتراجعت للخلف. إنها لا تستطيع أن تطلب منه أن يختفي ولا أن يحضر لها أنبوبة أكسجين لإنقاذها مما هي فيه بل بالعكس تحملت بشجاعة اختناق أنفاسها.

كان ذلك الوحش الذي لا يرتدي سوى المايوه قد برز من الماء ووقفت هي وقد فغرت فمها مشدوهة. لم تعد قادرة على الحركة أو التفكير وكل ما فعلته هو أن رفعت عينيها للسماء وأخذت تدعو وهي مستسلمة لقدرها.

أكمل وحش البانيو حديثه بكلمات متقطعة :

- إذن.. لأنه.. لو كنت في حاجة إلى أي شيء كان...

كان الرجل الثعبان يتحدث بصوت ممطوط يمكن أن يصلح وصفا في "كتاب الغابة".

"شيرين" التي كانت قد شاهدت فيلما تحت نفس الاسم تعرف أي

عاطفة يكنها الثعبان "كا" نحو المسكين "موجلي". رفعت يدها المنتقمة ودفعت وجه الغازي الذي انحنى ثم سقط في الماء في ضجة رهيبة. كانت الشابة قد نسيت في معركتها انه ممسك برسغها ووجدت نفسها على ركبتيها عند قاعدة البانيو.

أحست بان دورتها الدموية توقفت. صاحت :

- اخرج في الحال من البانيو.. إنه امر.

نفذ المقتحم الامر في الحال. تعثرت "شيرين" ودارت نصف دورة للخلف. بعد ان نهضت فتحت باب دولاب والقت لـ"إيرول ساجان" باكبر بشكير موجود في الدولاب ثم وقفت امامه في تحد وصاحت فيه دون أن يرمش لها جفن :

- هيا اذهب عليك اللعنة وارجو الا ارى وجهك.

- حسنا يا سيدتي.. سانفذ كل ما تريدينه يا سيدتي..

كان "إيرول ساجان" يتهكم والمياه تتساقط من جسده. احست الشابة بالكهرباء تسري في سلسلة ظهرها. اصيبت بحالة شديدة من الغضب والعجز، ولم تجد ما تنفث فيه غضبها سوى أن تصفق الباب عليه.

عندما وجدت "شيرين" نفسها مع نباتات "جيرترود" لم يعد لها الهدوء على الإطلاق. في الحقيقة ان تجد نفسها مع كل هذه الخضرة في مكان قحل مثل "اريزونا" امر غير منطقي مثل من ترتدي ثوب السهرة وتذهب لشراء البقالة.

أخذت تهدئ من نفسها باحتساء القهوة.

- الملعون "كاستور"! هل بلغت بك الوقاحة أن ترسل لي جاسوسا. وتدعي العكس وأنك تعمل لمصلحتي.. إن اللصوص والجواسيس هم الذين يكسرون الكوالين! ولكن لو اعتقدت انني لن افهم لعبتك الحقيرة فانت مخدوع تماما.

إن اخاها العضاض لايزال يعتبرها فتاة صغيرة، وعليه قررت "شيرين" بلا رجعة ان تثبت له العكس. من شدة غيظها لكمت سطح مائدة المطبخ بقبضتها. كما انها لم تسمع الباب وهو ينفتح. فزعت وقفزت في مكانها وهي تطلق صرخة حادة عندما سمعت صوتا خلفها يقول:

- رائع! قهوة!

بعد ان قضى بعض الوقت يتمتع برغاوى "ليلة مدللة" بدا جلده ناعما معطرا وقد حلق ذقنه ومشط شعره وتقدم منها مثل الامير الشاب المنتظر. لفت "شيرين" حول المائدة واخذت موقعها على الناحية الاخرى منه وإبريق القهوة الكهربائي بينهما كالمتراس الذي يتصاعد منه بخار الغليان. قالت له "شيرين" وابتسامة النمرة على شفتيها :

- هل ستتناول قدحا من القهوة قبل الرحيل؟ إن الأدب في "اريزونا" لا يسمح برحيل الغرباء قبل تقديم بضع قطرات لإنعاشهم.

كانت السخرية لاذعة باعتبار ان المنطقة صحراوية قاحلة. ولكنها لم تجد رد فعل للمزحة لان المقتحم ظل بلا كلام واكتفى بالابتسام. كان عاقدا ذراعيه على صدره العريض وهو يلتهمها بعينيه وابتسامة غامضة على شفتيه. احست "شيرين" بان جسمها امام هذا الرجل اصبح قويا، وظلت لا تظهر اي تعبير. فقط اصدر قدح القهوة الصيني صوتا عندما امسكته بيد مرتجفة لتصب فيه السائل الساخن. سالته:

- كيف تحبها؟

عندما أدركت ما يحمله سؤالها من تورية كان الوقت قد فات فاحمر وجهها بشدة. قال :

- البعض يحبها ساخنة اما انا فافضلها بالسكر وبدون لبن.. وأنت ؟

- إنني لم افكر ابدا في ذلك.

انطلق "إيرول ساجان" في ضحكة جادة ورنانة. مال بجسده للأمام ليمسك بالقدح الجميل الذي قدمته له مضيفته. ثم تبع الشابة التي أخذت تدور وتلف حول النباتات التي بلغ طول بعضها مترين.

صاح "إيرول ساجان":

- إن لك لمسات خضراء يا عزيزتي.

قالت شارحة وهي تأخذ مكانها فوق الأريكة :

- لست سوى جليسة للنباتات مثل جليسة الأطفال. لقد تركتها جارتي في رعايتي. ولكن ما شأنك يا سيد؟

- لا شيء يا آنسة. عندما أفكر في هواية شقيقك الغريبة حول دراسة القنفس أجد أن عائلتك غريبة. هل كان والداك غريبي الأطوار؟

- في الحقيقة لنا والدان غريبان فعلا. والآن لابد أن والدي العزيزين يتسلقان سلسلة صخرية وعلى ظهر كل منهما حقيبة، وأحذية جبال في أقدامهما. وهما على الأقل عندما جاءا لزيارتي في العام الماضي وجداني مستقرة تماما. وليس هناك ما يقال عن حياتي القصيرة في "شيروكي".

- بالضبط هذا ما حير "كاستور" لقد قال لنفسه: لو كان والداكما مسرورين فلابد أن هناك شيئا خفيا يثير القلق.

- أقول لك أنا يا سيد "ساجان": إنه من الأفضل لأخي أن يكتفي بقضم أطراف أقلامه وأن يهتم بالتنقيب السري من أجل العسكريين ولا يزعج نفسه. إنه لا يريد أن يعطيني عنوانه، هل أخفيت عنه عنواني؟

- كلا.. إنني عرفت منه أنك تسكنين في شقة تقع في كفر سكانه خمسة آلاف نسمة وأن المنطقة مقطوعة عمليا عن الحضارة الحديثة بهضبة "كولورادو". وفي المقابل هل تريدين أن أكشف لك عن سر؟

أصاخت "شيرين" السمع. هل سيبوح لها بمكنونات قلبه؟

- في الحقيقة "كاستور" قلق للغاية بشأن العمل الذي أقمته. إنه يعتبر أنه من التهور من ناحيتك أن تستثمري الميراث الذي تركته لك جدتك في حانة ومقهى.

احتجت "شيرين" :

- "ميراج" ليس حانة إنه مكان يتمتع فيه الناس بقضاء لياليهم في سرور.

أفلتت قهقهة من حلق "إيرول ساجان" فنظرت إليه "شيرين" مباشرة:

- ماذا تعني هذه الضجة التي صدرت عنك؟ ألا تصدقني؟

- بلى أصدقك.. المشكلة حسب رأي "كاستور" هو أن بيت العائلة - الذي يبدو أنه فسيح ويقع في أحد الأحياء السكنية الراقية في "سان فرنسسكو" - خال الآن. وفكرته هو أنك تستطيعين الإقامة فيه.

- مؤكد. ولكن حدث أن فكرتي أنا والخاصة بي هي أنني لا أريد الإقامة فيه.. هل فهمت ؟

لقد عشت أنا و"كاستور" في ذلك البيت بصحبة المربيات والممرضات بينما والدانا يجوبان العالم بحثا عن مناجم الذهب أو في رحلات بصحراء إفريقيا أو في التنقيب الجيولوجي الخيالي. لقد نجحت في متابعة دراساتي دون مشاكل وأصبحت شهادتي الجامعية في الإدارة في جيبي ورحلت لأعيش حياتي. لقد عثرت على "شيروكي" واستقررت فيها.

بوقاحة هذا الـ"كاستور" الذي أطلقك في أعقابي! أراهن أنه حكى لك كل شيء.

احتسى "إيرول ساجان" آخر جرعة من القهوة وقال:

- لست أدري إن كان هناك شخص في حياتك، وعندما أراني "كاستور" صورتك عند تسلمك الشهادة الجامعية نسي أن يحدد أن

الطالبة الصغيرة قد تحولت إلى امراة ناضجة وجميلة جدا. وقد فهمت السبب فالاخ دائما لا يرى اخته امراة مرغوبة. واعلمي يا "شيرين" ان الرجل الذي هو انا قد وقع صريع جمالك من اول نظرة.

مادت الأرض تحت قدمي الشابة واحست بالرعد يطن في اذنيها. ومع ان "شيرين" احست بوجهها يتجهم وبيديها تتجمدان من الشعور بالبرد، فإنها واجهت العاصفة بكل شجاعة. وطبيعي انها عادت للحياة بعد لحظات قليلة. فتحت فمها لتضع هذا المغوي عند حده، ولم يخرج منه سوى همهمة غير مفهومة. وإذا كان "إيرول ساجان" قد اعتبر همهمتها هذه نوعا من التشجيع إلا انه لم يستغل الموقف ليهجم على ضحيته. وبدلا من ذلك قرر ان يدع ذلك إلى وقت اخر، ونهض من فوق الاريكة التي كان قد جلس فوقها بجوار "شيرين"، ودار حول النباتات وهو يبدي إعجابه بديكور الحجرة.

– إن ترتيب الحجرة الذي اخترته هو في الحقيقة يناسب ذوقي تماما: من قطع الفخار وقطع النسيج الهندي المعلقة على الجدران واثاث مصنوع من خوص السلال...

بدات "شيرين" تلعنه. فضلت لو انه شرح لها إلى اي مدى يعتبرها فاتنة. إن ربع ساعة من التملق والمديح لن يضر احدا. قالت له في تواضع وادب:

– لقد اسعدني ان ذلك الديكور اعجبك وبهذا يمكنك ان تحكي لاخي العزيز "كاستور كول" ان شقتي محترمة إلى حد بعيد.. حسنا يا سيد "ساجان" لقد اسعدتني زيارتك. وشكرا لانك عرضت حياتك للخطر. ويمكنك ان تقول ذلك لاخي ولا تنس ان تذكره ان يهتم بما يخصه هو في المستقبل. والآن لو سمحت وتبعتني فإنني ساصحبك للباب.

قال الرجل في لهجة استنكار:

– ما الذي تقولينه؟ هل تطردينني؟

ردت عليه "شيرين" في تهكم:

– انت متهم كرجل. للاسف مادمت تريد ان تضع النقط على الحروف فإنني اسفة ان اقول لك: اذهب إلى غير رجعة غير ماسوف عليك.

عاقت النباتات خروجها من حجرة المعيشة التي ودت ان يكون عنيفا، واستطاعت "شيرين" بوسيلة او باخرى ان تصل إلى الدهليز المؤدي إلى باب الخروج. تلاعبت ابتسامة انتصار على ركن فمها عندما سمعت "إيرول ساجان" يسير بجوارها في استسلام. فتحت الترباس والكالون ثم التفتت نحوه. فوجدته حافي القدمين فقد نسي في الحقيقة ان ينتعل حذاءه بعد خروجه من الحمام. حاصرها "إيرول ساجان" عند ضلفة الباب وهو يحمل إصيص نبات الصبار. وضع الإصيص وهو يهمهم عند قدمي "شيرين" وكانه كلب رعي الماني. ثم دس يديه في جيبيه وحرك عضلات وسطه وكتفيه ثم اطاح بقدمه حصاة وهمية ثم تجمد في مكانه. قررت انه من الافضل تبني سياسة جديدة قرنت الكلام بابتسامة:

– اوه.. إنه انت ايها العزيز! يا لها من مفاجاة.

انتهز "ساجان" الفرصة ليجني مزيدا من الأراضي.

– اتعلمين يا انستي العزيزة ان كرم ضيافتك على المستوى الذي قيل لي عنه. في الحقيقة إن هذا يناسبني لانني اواجه مشكلة: إنني لا استطيع ان ارحل في الحال.

لقد بدات المسالة تصبح مرة كالعلقم!

– لماذا؟

– لم احضر معي سوى حقيبة واحدة اما البقية فمن المفروض ان تسلم لي فور وصول الباخرة إلى مرساها. وقد اعطيت عنوانك

للمؤسسة الشاحنة التي ستقوم بالتسليم.

– ولماذا؟ هل عنوانك لا يعجبك؟

– ليس لي عنوان!

– استخدم عنوان أسرتك.

– ليس لها عنوان هي الأخرى.

اللعين! إن "شيرين" مضطرة لأن تبدو رقيقة.

– فهمت.. إن هذا لن يسهل لك مهمتك.. حتى تتوقع تسلم حقائبك؟

أجاب "إيرول" وهو يهز كتفيه:

– ليست لدي أدنى فكرة.

قالت وقد بدا وجهها أكثر حيوية:

– أنا عندي فكرة.. عندما تصل الطرود سأتولى إرسالها لك.. وما عليك إلا أن تعطيني العنوان الذي اخترته. ما رأيك؟

– هذه الفكرة لن تنجح.

– لماذا؟

– لسبب بسيط وهو أنني لا أعرف أين أذهب والأفضل أن أظل هنا في "شيروكي" حتى أتسلم أمتعتي.

– يا سيد "ساجان".

– أفضل "إيرول" علامة على الصداقة.

– لا تقل لي يا "إيرول" إنك أثناء رحلة الحافلة التي أقلتك إلى هنا... لا تقل لي قصصا حول أن الحافلة لا تصل إلا إلى هنا! إذن لابد أنك لاحظت طوال الرحلة أنه لا يوجد لا فنادق ولا بنسيون ولا نُزل يظهر في الأفق. والسكان المحليون يتكونون من فلاحين وفنانين ومتقاعدين والباقون يعملون في مناجم النحاس أو بساتين الفاكهة.

باختصار ليست هناك أي استعدادات لاستقبال السياح.

– لقد نجحت أنت في الإقامة.

– نعم ولكن لو كنت تنوي الإقامة بضعة أيام فلا أرى داعيا لاستئجار شقة.

قال "إيرول" متملقا:

– عند هذه النقطة بالذات تلتقي وجهة نظرك مع وجهة نظري. ثم إن الناس يثرثرون كما يحدث في كل مكان.

ما الذي يريد الوصول إليه؟ قالت بصوت جاف:

– أنت مخطئ! إن الناس هنا يراقبون ولكنهم لا يعيرون أهمية لما يظنونه فضلا عن أن الإشاعات والأقاويل ليست عملة محلية. إن هؤلاء الذين يستطيعون الوصول إلى "شيروكي" يعبرون الجبال ومن المفروض أنهم تركوا وراءهم ما لم يعودوا يريدونه. هنا يسري قانون الغرب. إذا لم تضايق أحدا فلن يضايقك أحد.

– الآن استقر رأيي: إن المكان يعجبني كثيرا ودون أن أخشى مضايقتك أستطيع إذن أن أقيم عندك بدون أمتعة انتظارا لوصولها، واطمئني فإنني سأنام على الأريكة.

تلعثمت "شيرين" وأحست بجفاف في حلقها وكأنها صعدت الجبل الكبير على قدميها وهي تحلم بشاحنة مليئة بالثلج:

– لابد أنه حدث سوء فهم.

– لا.. لقد فهمت تماما أنك إن كنت قد قدمت العلاج والغطاء لديك لتعس مصاب أو لغابة من النباتات فقدت أمها فإنني واثق بأنك لن تضيقي باستضافتي عندك. إن لديك قلبا ذهبيا لن يسمح لك بأن تطردي مسافرا مسكينا أوشك أن ينهار من التعب أمام باب بيتك يا آنسة "كول"!

– في البانيو الخاص بي إذا أردت الدقة! وبعد أن حطمت الكالون.

- هذه أخطاء بسيطة وهينة واعدك من الآن واقسم على ذلك ان اكون مفيدا. وأول خطوة ساشارك في الإيجار. طبعا هذا امر طبيعي. إن "إيرول ساجان" ليس تافها ولا متسلقا يا "شيرين" فلا تنظري إلي هذه النظرة إذن. إنك يا صديقتي المسكينة سيتجعد وجهك قبل الأوان .

- لا! إنك لن تقيم عندي!

- ولكني اعتقدت....

- لقد قلت: لا!

إنها لو قالت نعم فمعنى ذلك انها تقول نعم للرغبة والحب والمشاكل التي لا مناص من حدوثها مع ذلك الرجل القوي شديد الإغراء الذي أرسلته لها المقادير.. هي الشابة القاطنة وسط منطقة ضائعة. إن قبول ذلك ببساطة أمر لا أخلاقي.

لا شك أن "إيرول" كان يمتلك قدرا كبيرا من الإلهام لانه قال بعد فترة قصيرة من تأمل مضيفته:

- لا تقولي: إنك خائفة مني إذن؟

صاحت "شيرين" التي أرادت أن تكتسب مزيدا من الثقة فرفعت الصبار الموضوع عند قدميها:

- ما هذا الذي تظنه! باعتباري إنسانة رشيدة وباعتباري مالكة لنصف أكثر المشروعات التجارية الناجحة في البلدة. أقول لك: إنني لست خائفة يا سيد "ساجان" ومنك بصفة خاصة .

- رائع! لست أدري لماذا نضيع وقتنا إذن في جدل لا طائل من ورائه.. لقد تم الاتفاق!

مد لها "ساجان" يده. نظرت إليها وكأنها طبق من البسلة مر عليه أيام وتعافه النفس، كانت تنظر إليه باحتقار: قال الرجل :

- إنني انتظر !

- نعم..؟

لابد أن هذا الرجل لديه سحر لعين وجاذبية شيطانية؛ لأن "شيرين" التعيسة رأت يدها ترتفع في الهواء ثم تستقر أعلى تلك اليد الخشنة السمراء للرجل وتستكين بين أصابعه القوية التي انطبقت عليها.

- شكرا يا "شيرين". لا داعي لحرق الدم فإنني أستطيع أن أخفي نفسي ولن يستطيع أحد أن يحس بوجودي إلا بصعوبة عندما أصمم على ذلك.

لم تكن صورا معقولة التي سكنت في عقل "شيرين": كانت صوراً من السعادة والأحلام تسبح داخل عقلها بطريقة خيالية ممتعة.

كان من الطبيعي أن "إيرول" هو الذي ترك يدها وعندما أحست "شيرين" بأن أصابعها في الهواء أمام صدرها عادت إلى أرض الواقع .

تأوهت في عجز أمام قدرها :

"ما الذي فعلته أيتها التعسة!"

الفصل الثاني

تمدد "إيرول" في استرخاء وراحة فوق الأريكة وهو يراقب الشمس الغاربة والتي اطلقت في الجو اشعة ذات لون أرجواني وذهبي بينما امتلات الحجرة بالظلال.

كانت "شيرين" تغني اغنية حب تعتبر موضة في ذلك الوقت وبعد ذلك اخذت دشا وذهبت إلى مطبخها الصغير. عندما كفت عن الغناء تساءل "إيرول" عن مستقبله.

تساءل اولا: لماذا اقحم نفسه هكذا على "شيرين كول"؟ لانها اولا ليست من النوع الذي يسعى إليه.

من المؤكد انه طلب من شركة الشحن أن تسلم أمتعته في منزل الشابة، ولكنه كان يستطيع دون شك ان يقيم في مكان آخر انتظارا لوصول الأمتعة. ولكن الغريب انه لم يرغب في الرحيل.

من المؤكد أن "إيرول" لم يكن له مشاريع ولا مكان يتجه إليه ولا

شخص ينتظره في اي مكان. بعد ان قضى عشر سنوات شاردا في حقول البترول وآباره لحساب الحكومة التي ارسلته للخارج، عاد إلى وطنه دون أن يهتم بذلك أحد. على اية حال فإن "إيرول ساجان" مغامر وحيد منذ سن السادسة عشرة. لا أحد في الحقيقة يعرفه وإذا كان قد قام ببعض الغزوات فإن النساء كن عابرات في حياته.

هل سحرته "شيرين كول"؟ صحيح أنها فاتنة! إن لها عينين واسعتين زرقاوين وفما صغيرا مغريا وصدرا بارزا تحت البلوفر وجسدا رائعا في زيها الضيق. ولكن لا... إن كان "إيرول" قد أراد أن يتوقف عندها فإنما ذلك في طريقه نحو المستقبل.

أحس بانه مرهق وود لو وجد نفسه في البيت. والمشكلة هي انه ليس له دار يأوي إليها وأن ذلك الفراغ يثقل عليه.

زفر زفرة شبه مسموعة وقال لنفسه: إنه سيبقى بضعة أيام في "شيروكي" ويلقي نظرة على حانة ومقهى "شيرين" وعلى أصدقائها ويرحل بعد أن ينقل تلك المعلومات لصديقه "كاستور".

احس بالرضا وهز رأسه. ولكن عندما استأنفت "شيرين" اغنية الحب ظهرت الهستيريا ثانية عليه. إن لها صوتا نقيا للغاية، وتخيلها "إيرول" تغني من اجله تلك الأغنية. احس بان معدته تتقلص امام تلك الصورة الخيالية حتى إنه شك في قوته وسيطرته على نفسه. إنها ضعيفة وهشة لدرجة رهيبة حتى وإن كانت شجاعة.

كم هو لذيذ أن يعيش بجوارها.

نهض "إيرول ساجان" فجاة.. لماذا يستسلم لتلك الصور الخيالية؟ إنها تعذبه كما يحدث له دائما عندما يحس انه لابد أن يحمي تلك المرأة.

انب نفسه قائلا: إنه لا مجال لذاك. إنها أخت "كاستور" ولا يجب أن

ينسى ذلك.

أدار وجهه وتظاهر بعدم الاكتراث عندما انفتح باب الحمام. لم يشاهد شيئا كثيرا وسط العتمة. كما أن خيالاته العاطفية جعلته لا ينطق بكلمة.

سألته الشابة في قلق والتي ظهر خيالها على فترات متقطعة نتيجة حركتها وراء غابة النباتات الـ"جير ترودية" نسبة إلى صاحبتها "جيرترود هندرسون".

- هل كل شيء على ما يرام؟

- ما هذا الذي أراه. هل هذا سيرك؟ لماذا هذا التنكر يا "شيرين" في صورة مهرج؟

- فعلا انت تكسب!

- لماذا هذا التنكر يا "شيرين" ؟

- لأن اليوم هو الجمعة! فهمت؟

بدا أن "إيرول" لم يقتنع بهذا الرد. ضحكت:

- سأشرح لك. إن ملهاي يسمى "ميراج" أي السراب والسبب طبعا مفهوم بسبب المناطق الصحراوية المهجورة التي تجدها غير بعيد عن "شيروكي". ولكنه أيضا من سياسة المؤسسة في كل يوم من الأسبوع نقدم نوعا مختلفا من التنكر ويوم الجمعة نتنكر في صورة مهرج سيرك أنا و"باري". أمر مسل.. أليس كذلك؟

سأل الساكن الدخيل وقد تجهم وجهه :

- من هو "باري"؟

- إنه "باري هوليت" شريكي فقد اشترينا الملهى معا.. لابد أن أذهب بسرعة واخدم نفسك إن كنت جائعا أو ظمآن.

قاطعها "إيرول" :

- دقيقة من فضلك ! ما سن "باري" هذا؟

- خمسة وثلاثون عاما.. لماذا؟

- من أجل "كاستور"!

- فهمت ...

عندما رآها "إيرول" تتجه نحو باب الخروج قطع عليها الطريق بقفزة ووجدت نفسها محاصرة بينه وبين الباب. زمجرت الشابة:

- أفسح الطريق من فضلك !

- هذا المدعو "باري" هل هو صديقك؟

- لا على الإطلاق.. ما هذا الذي تقوله؟ ثم ماذا يهمك في هذا يا صديق أخي العزيز؟

استرخت أعصاب "إيرول" في الحال، وود لو يأخذها بين ذراعيه في الحال ولا يتركها للأبد. أحس كل منهما انه خلق من أجل الآخر، وود كل منهما ألا تنتهي لحظات المواجهة هذه وأن تستمر ليالي وأياما بلا نهاية. ولكن فجأة قال "إيرول" في نفسه: " إنها ليست مثل الأخريات ويجب معاملتها معاملة مختلفة".

نزع عينيه من أسر عينيها الرائعتين وتأثيرهما عليه رغم ضعفها وحاجتها للحماية. أوشك أن يصاب بالسكتة القلبية مما رآه في حدقتي عيني الشابة الزرقاوين من عاطفة جامحة ودافئة. كانت تنظر إليه وكأنها تنتظر منه كل شيء.

زمجر "إيرول" من بين أسنانه:

- لا تنظري إلي بهذه الطريقة وإلا فلست مسؤولا عن النتائج!

- عندك حق! إنني أتصرف بحماقة يا سيد "ساجان" .

سألها:

- إلى أي حد وصلت العلاقة بيننا.. ألم يحن الوقت لتناديني باسمي

المجرد؟

- حسنا ولكن لنقف عند هذا الحد.

لم يقل شيئا وإنما اكتفى بهز رأسه في حركة تدل على التأمر. ولكن الوقت مر ولابد من رحيل "شيرين" إلى عملها وبالتالي أن تكف عن أن تظل أسيرة نظراته الآسرة. استدارت كي تذهب فناداها:

- "شيرين"؟

- ماذا؟

- انت رائعة.. اذهبي وسالحق بك فيما بعد.

سالته بطريقة آلية وهي تفتح الباب وتعبر العتبة :

- اين هذا ؟

اجاب "إيرول" وراء الباب الذي انغلق عليه :

- سنرى...

يا لها من فتاة نحيفة ورائعة! بعد خمس دقائق كان جالسا أمام المائدة في المطبخ وفي يده ساندوتش محشو بزبدة الفول السوداني والخيار وشرائح الطماطم. صب لنفسه قدحا من اللبن وبدأ يحتسيه على جرعات صغيرة وشرد بنظراته في الفراغ. لماذا احب تلك اللحظات المثيرة؟ ولماذا تركها ترحل هكذا بكل سهولة؟ اليست اخت اعز اصدقائه؟ هل اصابه الضعف بسبب الرحلة الطويلة المرهقة؟ لا.. لقد دهش "إيرول" ببساطة بروح الفروسية التي اجتاحته على حين غرة. إن ما دفعه إلى اقتحام الباب لشقة تلك الحسناء يمنعه الآن وبنفس القوة من أن يجرها في مغامرة لا مستقبل لها.. إنه يريد منها افضل من ذلك.

فجأة وضع الكوب على المائدة وتوقف عن السير. لقد تذكر ذلك الـ"باري" شريكها. ورغم ما كان به من تعب شديد فإن "إيرول" التهم ساندوتشه في ثلاث قضمات ثم ارتدى سترته لأن الليل كان باردا في

شهر ابريل.. وخرج.

***

يقع ملهى "ميراج" على حدود الكفر في المكان الذي كان في يوم ما محطة عربات لنقل الركاب. وكانت صالة الملهى واسعة ومقامة على أعمدة ضخمة وكان البوفيه طويلا جدا ولامعا بالورنيش بينما رصت موائد صغيرة خشبية بلا انتظام حول حلبة الرقص، وكان اربعة من الشباب ممن يعملون بالنهار في المناجم يعزفون موسيقى الريف الشعبية، وعندما أخذوا استراحة بدأ جهاز الصندوق الموسيقي يعمل.

كان الجو العام يوحي بالود والصداقة وتسوده روح الألفة والترابط رغم الموسيقى الصاخبة. وكان الجميع سواء من الرجال أو النساء يستقبلون بحرارة وحتى هؤلاء الذين يفقدون وعيهم من كثرة الشراب يجدون دائما من يصحبهم إلى بيوتهم في أمان. كان الناس من جميع الأعمار موجودين في جو طيب.

عندما دخلت "شيرين" كان جمهور مساء الجمعة قد سارع قبلها بالوصول، بينما كان "باري" مرتديا أيضا زي المهرج الذي صنعته له شريكته وهو يقدم المشروبات من وراء البوفيه.

اعتذرت "شيرين" وهي تحيي "كارمن" و"ميتزي" الساقيتين المتنكرتين أيضا في زي المهرج:

- لقد تأخرت جدا يا فتاتان!

سالها "باري" عندما انضمت إليه:

- هل كل شيء يسير حسب ما تريدين؟

- نعم .. وماذا عن "باربي"؟

- على ما يرام.

- هل يتعبها الحمل ؟

- صارحها "باري" :

- سأتحدث معك في ذلك فيما بعد. ولننتظر حتى تبدأ الفرقة الموسيقية في العزف ويبدأ التصفيق. لقد طلب مني الزبائن دستة من الكوكتيل.

قالت له "شيرين" مقترحة:

- دعني أعدها بدلا منك يا "باري" .

نشطت "شيرين" خلال ساعة في خدمة الجميع وحيتهم بأسمائهم، وتلقي تعليقاتهم الحماسية. ومع ذلك كانت تفكر في "إيرول ساجان" وفي المواجهة الساخنة التي سبقت مغادرتها المنزل؛ إنها لازالت ترى عمق نظراته والعواطف الغامضة التي كانت تحملها. إن هذا الشخص الغريب سيصيبها بالجنون!

ارتفع تصفيق حاد وصياح يرحب بوصول الفرقة الموسيقية أو بمعنى أصح بوصول الموسيقيين الأربعة.

أشارت لهم "شيرين" محيية وحتى يبدءوا. ثم سارعت إلى البوفيه حيث كان "باري" في انتظارها .

- إذن ماذا هناك بشأن "باربي"؟

أجاب شريكها:

- إن طبيب النساء قلق. لقد اكتشف تسمما في الدم وهو ما أكده الإخصائيون. إن قدميها منتفختان منذ أسبوعين أو ثلاثة. وكان ذلك في البداية لا يسبب لهم أي قلق ولكن الآن هم قلقون للغاية. ومن المفروض أن تضع "باربي" طفلها خلال شهر من الآن ولكن الطبيب يريد أن يدخلها المستشفى حتى يخفف من الضرر.

قالت له "شيرين" في تعاطف :

- يا صديقي المسكين ! لابد أن دمك محترق الآن، يمكنك أن تحصل

على إجازة أيها العجوز.

- لقد فكرت في ذلك بالضبط. إن المستشفى يوجد في " اسبر" كما تعرفين وأحب أن أكون بجوارها.

- مفهوم يا "باري".

- وكيف ستدبرين حالك في إدارة الملهى؟

- أتعشم أن تمنحني ما يكفي من الثقة باعتباري شريكتك ولتعلم أنني أستطيع أن أتولى كل شيء .

- نعم ولكن المتاعب.. أخشى أنني سأغيب بعض الوقت.

- لا تقلق يا "باري". إن أعمالنا ستسير حتى وإن لم تكن موجودا. المهم هو صحة "باربي" وصحة الطفل. اصحبها وبلغها حبي وصداقتي.

ضم "باري" شريكته بقوة وانفعال ثم طبع قبلة رنانة على خدها. ولسوء الحظ فإن ذلك تم في اللحظة التي اختارها "إيرول ساجان" للدخول إلى الملهى.

زمجر :

- لقد كنت أشك في الأمر. رغم كل شيء فإن ذات القلب الطيب لابد أن تسمعني.

عبر القاعة ثم ضربت قبضته سطح المائدة اللامع.

قال بغضب موجها الحديث إلى "باري" الذي لم تتركه عيناه:

- أعطني كأسا من الشراب ولا يهم الماركة.

صاحت "شيرين" :

- "إيرول"! ماذا تفعل؟ لماذا جئت هنا؟

وضع "باري" كوبا من الشراب أمام الزبون وهو يقول :

- هل تعرفينه يا "شيرين" ؟

قال "إيرول" بصوت كفحيح الأفعى :

- طبعا مادمنا نعيش معا أيها العجوز.

صاحت "شيرين" :

- إننا لا نعيش معا. كيف تتجرأ وتقول شيئا مماثلا؟

- حسنا.. حسنا.. لقد كنت متسرعا.. إنني أعيش معك.

- ليس معي!

- بل مؤكد يا عزيزتي. لقد تحدثنا طويلا حول هذا الموضوع... أتذكرين؟ لقد كنت راقدا في البانيو عندما حدث ذلك.

اختلست "شيرين" النظر لـ"باري" بركن عينها.

أسندت كوعها على البوفيه وهي تحدج "إيرول" بنظرة لا تبشر بالخير. صاحت وكأنها تبصق في وجهه:

- هل ستصمت أم ألكمك في أنفك يا "إيرول ساجان"؟

سمعوا صوتا يقول:

- مساء الخير للكل !

صاح "باري" :

- العمة "باتي" هل أقدم لك نفس الشيء.

- كالعادة يا بني. كوكاكولا وقطرة من الصودا مع الكريز.. ألا توجد مائدة خالية كالعادة؟

كان الصوت الحاد صادرا من سيدة ضئيلة لا يزيد طولها عن ثلاثة أشبار وهي تتقدم من البوفيه.

حدجت "إيرول" ثم قالت :

- هناك قادمون جدد في "شيروكي" كما أرى. إن "ميراج" يجتذب الناس أليس كذلك يا أطفالي؟ على أية حال إنهم أشخاص يتمتعون بالجمال.

كانت نظراتها إلى "إيرول" تعبيرا عن الإعجاب.

رد "ساجان" وهو يحس بالفخر:

- شكرا يا سيدتي !

- لابد أنه يعرف كيف يتمتع بالحياة بعضلاته البارزة وبراءة الأطفال في عينيه. ماذا جاء يفعل هذا الفتى في "شيروكي" ؟

أجاب "إيرول" ببشاشة:

- إنني أعيش مع "شيرين" يا سيدتي.

أخفت "شيرين" وجهها بين كفيها وهي تتوقع الأسوأ.

قال "باري" في دهشة:

- لماذا أخفيت عني أنك تعيشين مع شخص ما؟

أعرف تماما أن هذا ليس من شأني وأنه لا ضرر في ذلك.

قال "إيرول" موجها الحديث إلى "باري":

- أحسنت القول أيها المهرج! هل تريد بطاقة تعارفي؟

علقت العمة "باتي" :

- يا إلهي ! لقد وقعت على فتى شاب يحب التملك صدقيني عندما أقول- عن تجربة- إن هذه علامة طيبة.

قال "إيرول" منتهزا فرصة أن الفرقة كانت تعزف بقوة مما شتت انتباه الحاضرين :

- ماذا تفعلين هناك وراء البوفيه مع ذلك المخلوق؟

ردت "شيرين" بحدة :

- إنه يعاني متاعب وأنا أحاول أن أسانده وأخفف عنه. ثم إن هذا ليس من شأنك قص ما ترغب على أخي فأنا رشيدة بما يكفي أن أعتني بنفسي.

تدخلت العمة "باتي" معلقة :

- ما الذي يجري؟ إن هذا النموذج البشري يبدو أنه يحس بالغيرة.

أليس كذلك؟ إذا أردت أن تستفيدي من خبرتي فصدقي قولي.

رد "ساجان" صائحا :

- غيور؟ أنا؟ أنت تمزحين دون شك يا سيدتي .

قالت "شيرين" :

- أرجو المعذرة. لابد أن أستمر في تعريفكم بعضكم ببعض، إنه "إيرول ساجان" صديق أخي. إنه يقيم بصفة مؤقتة عندي انتظارا لاستلام أمتعته. بعد ذلك ينوي الاستمرارفي طريقه .

قالت العمة "باتي":

- يا خسارة !

همس "باري" بضع كلمات في أذن "إيرول" الذي بدا غير مقتنع وغمغم وهو يبتلع الشراب:

- إنني لا أصدق إلا ماتراه عيناي .

- إن ما رأيته هو أنني كنت أشكر "شيرين" لأنها وافقت أن أتغيب لأصحب زوجتي وأرافقها إلى المستشفى، إنها تعاني مشاكل في الحمل.

- زوجتك ؟

كررت "شيرين":

- نعم زوجته.

- آه.. حسنا .. حسنا جدا .. سأتناول علبة شراب أخرى .

قالت العمة "باتي في تأثر:

- أتعشم أن تسير الأمور سيرا حسنا بالنسبة لـ"باربي".

رد "باري" وقد بدت عليه الجدية :

- أتعشم ذلك أنا أيضا. إنهم يخافون كثيرا على الطفل .

قالت السيدة العجوز لترفع من روحه المعنوية :

- لا تقلق يا بني.. بالتأكيد هو إنذار كاذب، أنتما الاثنان قويان مثل الجميع.

- شكرا عمتي "باتي"! أثناء ذلك فإن "شيرين" ستجد نفسها بمفردها لتدير عملنا. هل يمكن أن تمدي لها يد المساعدة أيتها العمة؟

اعتذرت العمة "باتي":

- لم يسبق لي أن أدرت ملهى يا صغيري !

قال "إيرول":

- أما أنا فقد فعلت .

قالت السيدة العجوز في نشوة وانتصار :

- حسنا... ها هي المعجزة تحققت!سواء صدقتم أم لا فإنني كنت أعرف ذلك. والآن سأترككم. إن هؤلاء الشباب يعزفون اللحن الذي أحبه. آه! "ريكي" هذا موهوب!

إنني أتساءل ماذا يفعلون في عمق منجم النحاس بدلا من إعداد ألبوم لموسيقاهم! أما بالنسبة لك يا "إيرول ساجان" لقد فعلت خيرا بهبوطك على أرضنا. إن "شيروكي" ستبهجك وسترى ذلك!

- شكرا يا سيدتي.. أقصد عمتي "باتي" إلى اللقاء .

همهمت العمة "باتي" وهي تتجه نحو مائدة خلت:

- لا بأس به هذا الفتى! لا بأس به على الإطلاق .

قال لها "باري" :

- أنا سعيد لأنك عثرت على اليد العاملة يا "شيرين" وبذلك سيقل قلقي عليك أثناء غيابي.

قال "إيرول" الذي كان يتابع الحديث يؤيده :

- أنا سعيد لأنني سأصبح مفيدا .

إن "شيرين" تستطيع التصرف بسرعة، وأنتما الاثنان تستطيعان

مضاعفة العمل على الأقل.

قالت "شيرين" وهي لاتزال متشككة:

- المهم أن يثبت لنا مدى كفاءته.

تسببت النظرة المواربة التي وجهها لها "إيرول" في تصاعد الحمرة إلى خديها. قال "باري" وهو يترك مكانه لـ"إيرول" خلف البوفيه ويذهب لمساعدة الساقيتين:

- إنني اترك مكاني لك أيها العجوز.

قفز "إيرول" إلى جوار "شيرين" ثم ألقى نظرة شاملة على الزجاجات وصنابير الشراب، وكأنه يعرف المهنة ومتمرس عليها، ثم أعلن:

- منتهى النظام... في المواد.

- إنني أرفض أن أوجه لك أي كلمة من الآن وحتى نهاية السهرة يا "إيرول". لست أدري إن كنت قصدت ذلك ولكنك نجحت في إخراجي عن طوري إذن إلى العمل وعليك أن تصمت.

قال "إيرول" موجها الكلام إلى "ميتزي" وهي تناوله قطعة ورق صغيرة:

- ثلاثة عناب؛ واحد شراب "ماري" واثنان شراب "الكسندرا، عشرة عصير ليمون ، اثنان قهوة.

حاضر يا آنسة. أما أنت يا آنسة "كول" فإنني أنصحك بأن تتجنبي حساسيتي. أولا لأنه من المفروض على المهرجين أن يسلوا الناس، وثانيا لأنك مضطرة للجوء إلى خدماتي.

تجهمت "شيرين" لحظات ثم بعد أن تأملت كلامه بعمق رسمت على وجهها ابتسامة باهتة.

- على أية حال العمل عمل.

سألها بعد نصف ساعة:

- خبريني.. اعترفي أنني مفيد.

لما كان يؤدي عمله بطريقة ممتازة فقد اضطرت "شيرين" أن تبتسم له. ولم تستطع أن تضيف للابتسامة شيئا لأن "كارمن" الساقية أعلنت:

- لقد وصلت مجموعة لتوها للاحتفال بعيد ميلاد شابة.

أعطتهم الطلب وبينما الجمع السعيد يحتفل بعيد الميلاد والموسيقى تسانده .

انشغلت "شيرين" و"إيرول" للغاية بتشجيع الحضور خالي البال من الهموم ولم يجدا وقتا للعراك.

الفصل الثالث

لم يغادر زبائن "ميراج" المبنى إلا في الواحدة صباحا وقد تملكتهم النشوة. وكان المرء يسمع هنا "إلى اللقاء" وهناك من يصيح سنلتقي في الغد. وهناك آخرون يهنئون بعضهم البعض او يهنئون "إيرول ساجان" لعمله المميز في الملهى.

كانت "شيرين" تبتسم في حنان وكان "ساجان" يحيي كل فرد بإيماءة من راسه. وكان آخر من عبر عتبة الباب هو "باري" الذي ارسلته "شيرين" إلى بيته لينام، وهي تعلم أن اليوم التالي يجب عليه أن يحمل زوجته إلى "جاسبار".

فجاة ساد سكون غريب القاعة، ولم يكن يسمع سوى احتكاك قماشة التنظيف بسطح الموائد، أو سفنجة التنظيف يغسل بها "إيرول" الأكواب بعناية فائقة . اختلست "شيرين" نظرات مواربة نحوه. كان وجهه لا يمكن اختراقه وهو يركز على مهمته. زادت نظرات صاحبة الملهى جراة

وأخذت- على راحتها- تفحص ذلك الجسد الرائع بارز العضلات.

خلال السهرة كانت نظرات النساء النهمة التي يلقينها على "إيرول" لم تفت عليها، ولم يكن "إيرول" يتورع عن أن يرد عليهن بابتسامة براقة. كانت العجائز والشباب رجالا ونساء.. كل الزبائن قد تقبلوا "إيرول" بارتياح. هل فهموا أن قوة جسده الجميل قد حصل عليها بعد ساعات من العمل الشاق سنوات طويلة، وليس نتيجة تدريبات في الصالات الرياضية؟

تنهدت "شيرين" وهي تكرر قول كاتب مشهور : " لقد جاء ورأيناه وانتصر". كان الجميل المجهول يلمع الموائد دون أن يوجه اي كلمة إلى مديرة الملهى وصاحبته. دهشت "شيرين" من نفسها لغيرتها من شعبيته التي اكتسبها في الحال، على اية حال فإن المدينة لها وليست له! وجميل منها ان تستضيفه ! إنها في أعماقها تفضل لو أن سكان "شيروكي" احتاروا ولو قليلا بشان ذلك الغريب.

اخذت "شيرين" تختلس النظر إليه وكانت في نفس الوقت تدفع المقاعد وترتب القاعة وتغلي في داخلها وهي تراه مواربة وهو يقترب منها وبدلا من ان يقف امامها ويتحدث معها حتى يذيب الثلج بينهما راته يدور حولها ثم يتابع طريقه إلى صندوق الموسيقى. دس ثلاث قطع من النقود المعدنية في الثقب المخصص لذلك ثم ضغط الأزرار. تصاعدت موسيقى هادئة من بطن الآلة واغنية تتحدث عن الحب الضائع والقلب الذي يعاني .

عاد "إيرول" نحو "شيرين" ثم أمسك بها وأدارها ببطء وأخذا يرقصان على الموسيقى والعينان في العينين والشفاه صامتة وقد اجتاحتهما حمى العاطفة.

كم هو قوي العضلات وهو يراقصها في خفة.

سرت موجة من الحرارة في جسد الشابة. كانت حركاته رشيقة ورياضية، واحست "شيرين" انها قد لا ترغب في الانفصال عنه للأبد.

استسلما لسحر اللحظة وواصلا الرقص وقد انسجمت حركات جسديهما مع اللحن البطيء. فجأة أحس بها تتخشب بين ذراعيه فسألها :

- ماذا حدث؟

- لا شيء! إنما يبدو انني نسيت نفسي بعض الشيء .

- بالعكس يا عزيزتي.. إنك تريدين التعبير عما يكنه قلبك.. فما الضرر في ذلك؟

- لا بل إنه سراب.. خيال شطح بعده تسقط الحقيقة وتنقض على المرء ثم يحدث النسيان .

- انت تعرفين جيدا أن الأمر مختلف بيننا، ان نكون معا وان نتبادل الحب سيكون مغامرة فريدة في نوعها وتجربة لا تنسى.

دهش "إيرول ساجان" وهو يسمع نفسه يدافع عن الحب بهذه الطريقة. ولكن الذي ادهشه بنفس القدر ان يكتشف أن تلك السنوات الطويلة من الوحدة- التي كانت قليلا ما تنقطع في فترات قصيرة مع نساء عابرات- تركته في وحدة رهيبة وإحساس فظيع بالجوع لن يشبعه سوى "شيرين". لأن "شيرين" هي الوحيدة التي تعرف طريقة الدخول إلى تلك الواحة من السعادة.

قالت له "شيرين" في عناد :

- لا !

- حسنا .. حسنا.

سألته بصوت منخفض :

- هل انت حانق علي؟

اه.. في هذا نعم هو ثائر عليها. إنه يحس بالإحباط من تلك المخلوقة الصغيرة التي ترفض أن تجيبه بما يحب أن يسمعه منها حتى يهدأ.

قال لها بصوت لا يخلو من العنف:

- هيا .. تعالي نرحل من هنا .

كان قد وصل إلى الباب و"شيرين" لم تتحرك من مكانها.

قال لها:

- تعالي من فضلك يا "شيرين". إنني أحس بالنعاس والتعب بعد الرحلة والعمل في الملهى. لقد عانيت من يوم طويل.

بدت الشابة مقتنعة بكلامه وبدأت التحرك.

تناولت حقيبة يدها من وراء البوفيه ثم انضمت لرفيقها عند عتبة الباب ثم رفعت عينيها نحوه. زمجر "إيرول" :

- أوه.. لا.. لا تنظري إلي بهذه الطريقة التي أرى فيها الخوف وتشعرني بالذنب.

- اما انا فاحس بالغضب في صوتك ولذلك ساقود انا السيارة في رحلة العودة وإلا تعرضنا لخطر الاصطدام بشجرة.

تبعها "ساجان" عبر فناء الملهى وهو يكبت غضبه وحاول أن يهدأ وهي تغلق البوابة بالقفل والسلسلة.

بعد دقيقتين عندما لمح السيارة الضيقة التي أرادت "شيرين" أن تحشره فيها بكل جراة. صاح :

- وماذا عن ساقي؟ هل انزعهما واضعهما في حقيبة السيارة؟

- من يسمعك يقول: إنك عملاق! إنني أستطيع أن أجلس بسهولة خلف عجلة القيادة..

قال متهكما :

- إن النساء أكثر رشاقة وليونة من الرجال وهذا أمر معروف .

لم يجرؤ إذن أن يصارحها بأنها ضئيلة وصغيرة فإن ذلك قد يضايقها وهذه الفتاة التي رضعت من لبن أمها قادرة على أن تجبره على النوم على عتبة بابها. تظاهر رغما عنه بالسعادة فالتوى على نفسه بأقصى ما يستطيع وانحشر في مقعده وقد وصلت ركبتاه إلى ذقنه، وكوعه الأيسر وصل تقريبا إلى كتف "شيرين" وقال لها معتذرا وابتسامة سعيدة على شفتيه :

– أتعشم ألا يعوقك كوعي من تحريك عصا نقل السرعات؟

ومع ذلك كانت عصا نقل السرعات تصدر صوتا مزعجا طوال الدقائق العشر التالية من الرحلة.

لم تستطع "شيرين" مع ذلك أن تتجنب المنحنيات والمرتفعات والدورانات وهي تفكر في الجبل الجالس بجوارها وهو مستغرق في نوم ليس هناك ما هو أثقل منه. أحدثت الفرامل صريرا عاليا... لقد وصلا. علق "إيرول" وهو يستخرج جسده الرهيب من علبة السردين المسماة سيارة:

– لدي إحساس أنني قمت برحلة فوق جبال روسيا.

قالت له "شيرين" في همس :

– صه! إنك ستوقظ الجيران.

عبرا الممر والدرج في خطوات القط وأحست الشابة بوخز في قلبها عندما أغلقت باب الشقة عليها وعلى ذلك المستأجر. ومع ذلك صممت على ألا تستسلم لعواطفها فوضعت حقيبة يدها ثم فتحت بعض أبواب الدواليب وأغلقتها بعد أن أخذت منها الأغطية والبطاطين والوسائد ووضعتها على الأريكة ثم أعلنته وقد وضعت يديها في وسطها :

– ها هو كل شيء يا عزيزي !

– أنت حقا بلا قلب يا "شيرين"!

اغتاظت واستدارت نحو محدثها وسألته:

– ماذا تريد أن تقول؟

– هل أنت متمسكة بأن أنام على هذا الذي لا يزيد عن مساحة طابع البريد؟ أرجوك أن تقدري أن علي أن أثني ركبتي في الهواء وألوي عنقي.

قال ذلك ثم حاول التمدد فوق الأريكة:

– هذا لا يعنيني في شيء.. إن اتفاقنا لا يلزمني بأن أتنازل لك عن سريري.

ابتسم "إيرول" مما جعل "شيرين" ترتجف ولكن لا شيء يمنعنا من أن نتشارك في النوم عليه.

– لا مجال للمناقشة في ذلك.

– إنه ليس سؤالا للمناقشة وإنما مجرد عرض.

انطلقت "شيرين" نحو حجرتها دون أن تجيبه ثم عادت منها وهي تحمل وسادة ضخمة بين ذراعيها. ألقتها على الأريكة بحركة غاضبة وقالت :

– إن هذه قد تساعدك على النوم.. تصبح على خير.

– إحم !

– نعم ؟ ماذا أيضا؟

– أحب أن آخذ دشا قبل أن أتكوم فوق طابع البريد.

– الآن ؟

– نعم الآن. ويجب أن أنتهز الفرصة مادمت سأنام ونصف جسدي منثن فوق الأريكة حتى أمدده قبل ذلك في البانيو.

أخذ يخلع ملابسه ويظهر صدره القوي وذراعيه بعضلاتهما البارزة، كل ذلك وهو يبتسم ابتسامة ماكرة محاولا مضايقة الشابة وبدلا من

ذلك قالت له بمنتهى البرود :

– حسنا استمر في أداء مراسم نومك. ساعد لنفسي قدحا من التليو المهدئ.

ابتعدت ثم قالت له :

– بالمناسبة شكرا لأنك ساعدتني في الملهى لقد كان "باري" مسرورا للغاية عندما وجد انني لست بمفردي. لابد انه ظن انك ستبقى لحين عودته... ولكني لم أرغب في زيادة مخاوفه بان اقول له: إنك لن تبقى سوى بضعة ايام.

– "شيرين"!

ردت عليه من داخل المطبخ :

– نعم انا هنا .

– لقد كنت انا وانت في اسعد حال عند الصندوق الموسيقي والرقص و...

قالت "شيرين" بحدة وقد استعادت لهجتها القوية المسيطرة لصاحبة الملهى حتى لا تدع نفسها تثار :

– وبعد.. ماذا في الرقص وغيره؟ الرقصة لا تزيد عن كونها رقصة ولا داعي لان تجعل من الحبة قبة.

هل لاحظ حالة الياس التي تملكتها؟ إن ذلك المدعو "إيرول ساجان" لا يزال واقفا مسمرا على عتبة المطبخ وقد اسند إحدى كتفيه بلا اكتراث على إطار الباب... بينما من المفروض انه موجود تحت الدش. لم تكن تفوته اي حركة من حركات الشابة بينما هي من ناحيتها أدارت له ظهرها قدر ماتستطيع حتى لا تنزع عينيها من فوق صدره المثلث.

أخذ الماء يغلي بوحشية في الإبريق واخذ يفور ويسقط على شعلة الموقد فاطفاها. بعد إشعال ثلاثة اعواد من الكبريت استطاعت اخيرا ان

تعيد إشعال الموقد. ولم يكن أمام "شيرين" سوى أن تنتظر حتى يتعطف الماء ويغلي فالقت نفسها إلى ما لا تود وإن كانت في نفس الوقت تشتهي ان تلقي بنفسها فيه. قالت لـ"إيرول":

– الم تفهم إذن انني أريد ان أكون بمفردي؟ اذهب ونم يا "إيرول".

اطمان "إيرول" وترك المكان الذي لجا إليه حتى يستطيع ان يفلت في حالة ما لم تسر الامور على ما يرام وسار للأمام يتبختر ببطء ثم قال لها :

– انظري إلي !

– لا.

حاصرها بينه وبين الموقد ثم أمسك بذقنها. وأدار رأسها نحوه وقال:

– الأن ستستمعين إلي يا "شيرين" وسواء صدقتني ام لا فإن تلك الرقصة على الأنغام البطيئة قد نزعتني من نفسي وزلزلت كياني بقوة هيستيرية. إن كل ما بي مضطرب لدرجة لا يمكن تصورها. انا المغامر الذي لا مبدأ له ولا قانون فإنني احترمك ولن اسرق منك ما لا تريدين أن تمنحيه لي برضاك ولكني اعرف واحس انك تريدين أن تمنحيني المزيد.

– إنني.. إنني خائفة من نفسي وليس منك يا "إيرول". عادة انا التي تقرر إلى اين أريد ان اذهب وعندما اتمسك بالتخلص من شخص سيئ الحظ يا "إيرول" لن اشعر باي الم. انت تعتبرني مغرورة إذن. أليس كذلك؟ على اية حال الأمر معك يختلف تماما . إنني لا أحس بانني فريسة فحسب وإنما ايضا فريستك التي توافقك على التهامها ولدي إحساس بانه لم يسبق أن رغبت حب رجل بهذه القوة قبلك. هل صدمتك بصراحتي؟

– نعم وانت تعرفين ذلك جيدا مادمت تتكلمين عنه .

على اية حال إنني اضيف إلى ذلك ان هناك ما هو اكثر من الإعجاب

بيننا. إنه يبدو كأنا نعيش- في حياة ماضية- حبا يمكن أن ينتهي بطريقة ماساوية.

– اتقصد مثل "روميو وجولييت" وقد عادا إلى الحياة وقد منحا حرية أن يعيشا حبهما إلى النهاية..؟

– شيء يشبه ذلك قليلا.. نعم.. ولكن كيف تسمي الرابطة التي بينهما؟

اكتفت "شيرين" بالقول:

– الرغبة.. الافتتان اللحظي. ومجلتي الطبيعية المفضلة تشرح ذلك بأنه إفراز الهورمونات السريع كالبرق.

رفع "ساجان" رأسه وتخشب جسد "شيرين". قال لها بصوته المطوط:

– لازلت أقول: إن ما بيننا يتجاوز الرغبة البسيطة إنه أكثر من ذلك بكثير يا "شيرين" وأنت تعرفين ذلك! والآن سأذهب لآخذ الدش وروحي في سلام.. سآخذ دشا مثلجا دون شك!

شردت "شيرين" دون أن تسمح لشيء أن يبدو على وجهها وتابعت بانتظارها.

في تلك اللحظة حدثت ضجة غريبة أعادتها إلى أرض الواقع. كانت صفارة الغلاية قد انطلقت بصوت كالرعد بينما قطرات الماء تتساقط من فم الإبريق فوق اللهب. أطفأت الموقد في الحال ثم أجبرت نفسها على الإبطاء في إعداد التليو المهدئ حتى تنسى تخيلاتها الرهيبة عما يمكن أن يحدث.

أخذت تدير الملعقة الصغيرة في القدح رغم أن السكر الذي فيه ذاب من وقت طويل. كانت تعيش مشهدا غراميا يصلح لأحد أفلام هوليوود.

صاح لها "إيرول" بعد فترة مما جعلها تفزع:

– إن الحمام أصبح خاليا الآن!

غسلت فنجانها ووضعته في مكانه ثم ذهبت إلى حجرة المعيشة.

عندما وصلت بالقرب من الأريكة تعثرت قدمها في شيء طري حتى أوشكت أن تسقط على وجهها. كان "إيرول" ملفوفا في أغطيته مستلقيا فوق الموكيت. سألته:

– ماذا تفعل فوق الأرض؟ هل استيقظت من كابوس؟

– إن الكابوس في الحقيقة هو أريكتك. إنها أسوأ حتى من طابع البريد! والآن لو سمحت أطفئي النور فإن الدش جعلني أغرق في النعاس. إنني متمسك بالاستفادة بهذه الغفوة المبدئية.

تلعثمت "شيرين" التي سارعت بإطفاء النور وقالت:

– أوه.. المعذرة!

قال "إيرول" بلهجة لاذعة وهو يدير جسده فوق الأرضية:

– وفوق كونك متعلمة وفاتنة فإن لك روح المزاح!

غدا سأتزوجك.

على أثر تلك الكلمات أسرعت "شيرين" بحبس نفسها داخل الحمام تاركة "إيرول" ينفث حقده وغيظه على الأرض. ولكن بعد لحظات قصيرة فتح باب الحمام وانطلق صوت الشابة كالنفير:

– أتدري يا "إيرول"؟ إنني أحس بالذنب لأنني لم أسمح لك باستخدام سريري..

– ولكن لا .. هيا ارتاحي في سلام. إنني أستحق كل ما يحدث لي. والآن أحب أن أنام فعلا. إلى الغد لو استطعت أن أنهض لأنني لن أستطيع قطع المسافة بين الموكيت والملهى إلا وجسدي متيبس.

اشتعل غضب "شيرين" التي أوشكت أن تتعثر في إصيص البنفسج:

– إنك تسبب لي العصبية!

سخر منها:

- ولكني اعجبك !

ثم صفق باب الحمام بعنف مرة ثانية.

اخذت "شيرين" دشا وضفرت شعرها ثم ارتدت قميص نوم من الفانيلا رماديا ثم اندست في سريرها واطفات مصباح السرير.

في هذه اللحظة تصاعدت تاوهات طويلة قطعتها زمجرة وتنهدات داخل الشقة. ولكن "شيرين" لم تنخدع فهي ليست ساذجة. إنها لن تترك له سريرها ولن تشترك مع "إيرول" !

- اوه.. جرحي في الحرب!

ظل هذا السيرك منصوبا فترة طويلة. انتقلت "شيرين".. من السخط إلى الشعور بالتسلية ثم بدات تضحك من تحت الغطاء. بدات تتوالى جراح "إيرول" الواحد تلو الآخر وكانت تستطيع ان تسجل تتابع تواريخ حدوثها مع بعض التعليقات التاريخية. امام هذه القائمة التي لا نهاية لها وكانها قصة ابي زيد الهلالي، حاولت ان تغمض عينيها وتسترخي. ثم فجاة لم تعد تسمع شيئا.

اصاخت سمعها محاولة استكشاف غطيطه، ولكن ذلك كان جهدا ضائعا! احست بالتوجس فوضعت اطراف اصابع قدميها على الارض ومشت نحو غرفة المعيشة. كان "إيرول" جالسا فوق الاريكة وفي عينيه خليط من المكر والنظرات السوداء. واخذ يطرق الموكيت بقدمه انتظارا لمرور الوقت. اندفعت الشابة نحو سريرها وانتزعت الاغطية ثم عادت إلى غرفة المعيشة. قال لها متهكما :

- إنك تشبهين الحفار في حقول البترول.

صاحت :

- هيا إذن نم في حجرتي.. إن هذا سيجنبك الهذيان يا سيد جريح الحرب! هيا اغرب عن وجهي.. إنني اريد ان انام انا كذلك !

- الن تطلقي علي مدافعك صباح الغد ؟

- بالعكس.. إنني ساشكرك لانك حملت عني عبء تانيب الضمير.. هيا ايها الرضيع إلى مهدك!

نهض "إيرول" في كبرياء وكرامة وخلع الغطاء الذي لف به جسده وهو يضحك في سره. عبر الحجرة في بطء متعمدا إغاظتها وبدا قلب الشابة ينبض بسرعة، ودماؤها تفور ومع ذلك اخذت مكانها فوق الاريكة. والقت بالاغطية والبطاطين فوق راسها.

اخيرا ساد الصمت والسكون وفي اللحظة التي اوشكت ان تغرق في نعاسها سمعت صوتا ممطوطا وعنيدا يقول :

- لا فائدة.. إنني لا أستطيع النوم .

الفصل الرابع

كان جرس التليفون هو الذي أيقظ "شيرين" في الصباح الباكر. رفعت السماعة وقالت بصوت يغلبه النعاس:

– ألو ؟

– أنا "باري" على التليفون. اعذريني لأنني انتزعتك من النوم في هذه الساعة المبكرة. قبل أن أرحل إلى "جاسبر" كان لدي وقت لأتصل بـ"جيمي" النجار وقد وافق على إصلاح باركيه حلبة الرقص في ملهى "ميراج" إنه الآن في فترة انتقال بين ورشتين وذلك لن يتيح له سوى بضعة أيام. ما رأيك يا "شيرين"؟

– إن الفكرة تبدو لي رائعة وأيم الحق يا "باري". لقد اتفقنا على إجراء تلك الإصلاحات. كل ما هناك أننا سنكسر حصالة النقود وننفق ما فيها.

كانت الشابة تتثاءب وهي تتحدث. قال "باري":

– مفهوم. سأتصل بـ"جيمي" مرة ثانية لأعطيه الإشارة الخضراء. وسأتوقف في طريقي عند الملهى وأعلق لافتة – مغلق للتحسينات –.

إن هذا سيفيدك أن تأخذي بضعة أيام إجازة يا "شيرين".. حسنا.. سأتركك.

– إلى اللقاء قريبا يا "باري" إنني سأفكر فيكما أنت و"باربي" بكل خير.

– إلى اللقاء.. يا حبي الحقيقي !

وضعت "شيرين" السماعة.. نعم إنها ستسعد بالحصول على إجازة بضعة أيام وهي تستحقها فعلا حتى تستطيع أن تستعيد هدوءها وتتجنب كل الوساوس...

على أية حال فإن الإجازة تبشر بأن تكون مليئة بالحركة مع وجود ذلك المغوي القريب الآتي من بلاد بعيدة تحت سقف بيتها.

استقبل "إيرول ساجان" الخبر بعدم مبالاة واضحة. عرض عليها أن يقوم بإعداد الإفطار يوميا بشرط أن تقوم "شيرين" بإعداد العشاء أما في منتصف النهار فيشتركان في إعداد الغداء معا.

بدأ التنفيذ بسرعة: في الصباح يوقظ "إيرول" الشابة من نعاسها على قدح ضخم من القهوة التي يتصاعد منها البخار. وخلال النهار كانا يتنزهان عبر الحقول المزروعة ويقابلان رجال المناجم الذين يتسكعون حول مناجم النحاس وكانا أيضا يستكشفان الصحراء المجاورة. وكانا يتحدثان في السياسة وهما يقدران الفرص أمام المرشحين للرئاسة ويناقشان الاقتصاد الذي بدأ ينتعش شيئا فشيئا.

كانت الشابة تضحك عاليا وهي تسمع ضيفها الذي كان في كل صباح يشرح لنباتات "جيرترود" عملية استغلال حقول البترول.

– إنني أعجب بك لاهتمامك بموضوع موحش للغاية.

- هل تفضلين أن أقرأ على هذه النباتات مجلة "شيروكي" المحلية؟ لماذا بحق السماء اشتركت في ثلاث مجلات تتحدث عن موضوع واحد؟

- إنني لازلت أتساءل يا "إيرول": إن المراهقين الذين حضروا يعرضون على المجلة كانوا في منتهى اللطف حتى إنني لم أجرؤ على إصابتهم بالخيبة.

كانت النباتات تنمو نموا جيدا و"شيرين" تشعر بالسعادة من أجل ذلك. و"إيرول ساجان" لا يبدو عليه الضيق على الإطلاق. كان في كل مساء يحيي رفيقة الدار ويتجه مباشرة إلى الحجرة ويتركها وهي تبتسم، وكان عندما يخرج من حجرة الحمام لا ينسى أبدا أن يقف عند عتبة حجرة المعيشة ويتأملها وهي تقرأ قبل أن تستغرق في النوم. ومع ذلك فقد كان التوتر بينهما في تلك اللحظات شديدا.

انتهى الأمر بملهى الـ"ميراج" بإعادة افتتاحه في الاثنين التالي. وعمل "ساجان" أيضا وراء البوفيه كرئيس مقدمي المشروبات. ويبدو أن الإشاعات تناثرت هنا وهناك أن رجلا رائعا ورياضيا يساعد الآنسة "كول" مما أدى إلى امتلاء جميع موائد القاعة كل مساء.

ومع ذلك فقد أصيبت "شيرين" صباح الاثنين بصدمة عندما استيقظت ولم تجد "إيرول". كان عليها أن تفتش في كل حجرات البيت. ولم يهدأ لها بال إلا عندما راجعت الحمام. كان صوت طنين ماكينة الحلاقة الكهربائية ينبعث من أمام حوض الوجه ولكن أين هو ذلك الضيف المقتحم لحياتها؟

أدركت "شيرين" فجأة كم أصبح هذا الرجل مهما لا تستطيع الاستغناء عنه. لقد كانت وحيدة وهي فتاة صغيرة لأبوين دائما على سفر وترحال، وشقيق أكبر دائما مشغول بدراساته أو أصحابه وإذا كان "كاستور" يراقب شقيقته بعين غيور إلا أنه كان يعيش حياة فاسدة.

فهمت "شيرين" أنها ستحس بالألم من الآن فصاعدا إذا ما اضطرت للحياة وحيدة. وكانت علاقاتها بذلك الرجل العابر تقلقها بلا حدود. لا.. لا يجب أن ترتبط. إن اعتمادها على شخص آخر أمر شديد الخطورة. زمجرت وهي تقرر التفكير في أمور أخرى:

- وماذا بعد خيبة الأمل؟!

سمعت صوتا في ظهرها:

- إذا كنت تسببين الصبار فإنه سيهزل ويذبل.

دارت حول نفسها وهي تصيح :

- "إيرول"!

نظرت إليه "شيرين" وابتسامة وضاءة على شفتيها ثم سارعت لتخلصه من أحد الأكياس الورقية المملوءة بمختلف البضائع والتي يحملها بين ذراعيه قال لها شارحا :

- لقد كنت تنامين كالطفل البريء وفضلت أن تنعمي بالراحة الصباحية. هل تناولت غداءك؟

- لا .

- ولا أنا. إنني أقترح كقائمة للطعام سلطة من خضراوات طازجة وشريحة من اللحم المحفوظ المقدد والحلوى فطائر بشرائح الشوكولاتة لازالت طازجة وخارجة من الفرن. آه إنني أحلم من وقت بعيد بتلك الفطائر.. إن المرء لا يعثر عليها كثيرا في الخارج.

فتح الربطة وأعطاها واحدة ثم دس ثلاثا منها في فمه دفعة واحدة. تأملت "شيرين" وهي تمضغ فطيرتها. كان من الواضح أنه يأكل بتلذذ شديد ويمضغ بطريقة مثيرة. أخذ يلاعبها عن طريق تقديم فطيرة دون أن يترك طرفها وجعلهاتقضم منها. بينما نظر في أعماق عينيها اللازورديتي اللون أما هي فتعمقت في عينيه السوداوين.

قال بصوت يشبه رنين الأورغن داخل الكاتدرائية:

– إن ما يحدث لنا نحن الاثنان لا استطيع أبدا أن افهمه جيدا. ثم الأدهى من ذلك انني لست واثقا إن كان ذلك يسرني أم لا. وكفي عن ترديد أن ذلك ليس سوى افتتان عارض لانه يتعلق بشيء آخر اكثر اهمية. لابد أن افكر في ذلك كما افكر في بقية الأمور.. لانني لست ادري ماذا ستصبح حياتي... أوه أيتها الصغيرة لا تنظري إلي هكذا. إن ذلك يجعلني أئن!

رأى في عينيها دوامة من العواطف المتصارعة الخطيرة والمزعجة. بينما كتمت الشابة انفاسها من الانفعال. قال لها :

– إنك تعرضينني للعذاب يا "شيرين" !

تضخم قلب الشابة من السعادة أمام هذا الاعتراف الذي وجد صدى شديدا عندها. ولكنها قرأت وراء عواطف الهيام والحب شيئا آخر لا تفهمه وإن سبب لها اضطرابا شديدا. أخذت تردد اسمه مرة ومرات ومرات وقد اهتز كل كيانها وكان شحنة كهربية سرت في جسدها.

كان "إيرول" يعرف تماما أن حب تلك الفتاة ليس مجرد انجذاب جسدي، وإنما أن يهبها كل روحه وكل ما به والذي لم يسبق لأحد أن غزاه، لذلك ولأول مرة في حياته يحس "إيرول ساجان" برعب رهيب.

حاول أن يسيطر على نفسه ويسترد انفاسه، استطاع بالتدريج أن ينتزع عينيه من عينيها. كان الصمت مشحونا بالحب الحقيقي الذي انتصر على الافتتان المؤقت، وبدا أن ذلك الحب أوشك أن يجرهما إلى طريق لا رجعة فيه. همهمت :

– "إيرول" من فضلك لا تنجرف مع انفعالاتك.

– نعم أعرف يا عزيزتي ولكن اسمعي..! إنني لا أريد أن احبك حبا هوائيا لا غد له لأن ما أحسه نحوك يتجاوز الافتتان. لست ادري ما

الذي ألم بي لأتصرف هكذا نحوك، وإنني متمسك بان افهم ذلك الذي تملكني قبل أن اقع في حبك الحقيقي .

ظلت "شيرين" بلا صوت، وقد غشيت عينيها دموع حجبت عنها الرؤية الواضحة. أحس "إيرول" بالقلق والانزعاج فأخذ يربت خدها :

– اتفهمينني يا عزيزتي ؟

– نعم.. إنني.. إنني أحاول أن أقنع نفسي أن الأمر ليس سوى مجرد افتتان بين رجل وامرأة. ولكن في أعماقي أعرف أن ذلك ليس بصحيح. كل شيء مختلف معك يا "إيرول".. لم يحدث أبدا في حياتي أن أحسست بمثل هذا الاضطراب.

ساعدها "إيرول" على استرداد سيطرتها على نفسها بحركات من يده على شعرها كلها رقة.

ثم أعلن:

– لابد أن أرحل وأتركك لتحصلي على بعض الهدوء والسلام الذي قطعته. ولو واتتني الشجاعة حقا لركبت السيارة وغصت وسط الصحراء. ولكن ليست لدي القدرة على ذلك يا "شيرين". وإذا رغبت فإنني سأبحث عن مسكن آخر في المدينة هل تريدين ذلك؟

– لا.. سواء كنت هنا أو هناك فأنت موجود دائما فمن الأفضل إذن أن تبقى.

تأثر "إيرول" بدرجة كبيرة بكلامها فاندفع نحو أكياس الخضراوات حيث بدأ يخرج محتوياتها وهو يقول:

– حسنا.. ساعد تلك السلطة الشهيرة. موافقة؟

– كما تحب.. إنني سأذهب لأنام.

ناداها عندما وصلت إلى الباب قائلا :

– أرجوك.. أرجوك يا "شيرين" لا تحزني!

قالت بصوت مهتز :

- لست حزينة .

- أصبحت غير خائفة مني، لقد وصلنا إلى حل.. أليس كذلك ؟

- أعـرف ذلك يا "إيرول" وانك لن تسـبب لي اي الم وان كل شيء سيكون على خير ما يرام.

- إنني أرجو الا أجرحك ولا احب ان أسبب العذاب لقلبك.

وجهت له "شيرين" ابتسامة باهتة ثم رحلت. عندما اختفت مرر "إيرول" يده على وجهه في حركة مرتجفة واستنشق كمية كبيرة من الهواء.

إنه يحس بالاضطراب في أعماق نفسه وكان عقله يزعجه تماما مثل جسده. قال في نفسه:

- انت في ورطة يا "ساجان". إنك تخاطر بالكثير وإذا لم تكن جنة الفردوس هي التي ستكتشفها قريبا فلا شك انها ستكون الجحيم.. والياس والتخبط.

###

رشت "شيرين" وجهها بالماء البارد وعدلت من هيئتها. ثم جلست على سريرها وهي تنظر إلى الفراغ وقد ضمت قبضتيها بقوة. إن العواطف التي تحس بها نحو "إيرول" تقلقها وتزعجها شيئا فشيئا. مادام "إيرول" بدا يتكلم عن شيء آخر غير الافتتان .

نعم لقد كانت "شيرين" مضطرة لان تعترف انها تحب "إيرول ساجان" الحب الحقيقي. والمشكلة هي انها تحب لأول مرة وانها لم تختر الرجل المناسب لها. في الحقيقة فإن "ساجان" سيرحل مثلما جاء ويحمل معه قلب الشابة في هروبه. وهو ايضا يبدو انه يتعذب. ولكن عندما يكتشف انه عاشق فإن ذلك لن يمنعه من الرحيل دون شك سواء تعذب وتمزق

قلبه أم لا. صاح مناديا لها من داخل المطبخ :

- "شيرين"! تعالي إذن لتتناولي الغداء!

قالت في نفسها: على الأقل، إن عملية الأكل ستبعد أفكارها عن وجود "إيرول". خرجت من حجرتها.

سحب "ساجان" بكياسة آلية مقعدا من أجل أن تجلس عليه ثم سارع بتقديم السلطة إليها واللحم المقدد وشراب الليمون. ثم جلس أمامها وانهمك في التهام وجبته السريعة وهو أمر لا يثير الدهشة نظرا لحالته المعنوية المرتفعة.

قالت له :

- كلمني عن نفسك من فضلك يا "إيرول"!

فكرت الشابة وهي تمضغ طعامها بعناية، حتى تحس بالسيطرة على نفسها، أن عبارتها هذه مدخل طائش في الموضوع، وهي لا تعرف السبب لذلك، ولكنها تذكرت انهم يقولون عنها: إنها تفتقر إلى الخيال. أما "إيرول" على عكسها، فقد كف عن المضغ ونظر إليها فاغرا فمه :

- ماذا.. ماذا تريدين أن تقولي يا "شيرين" ؟ انت تعرفينني الآن!

- لا.. لا حقا. إنني لا أعرفك على الإطلاق.

- يا إلهي! ليس لدي ما يستحق أن أكشفه لك من أمور مثيرة ومذهلة. لقد قمت خلال عشر سنوات بحفر آبار بترول لحساب الدولة.

- وحاليا ؟

- حاليا ؟ لقد استقلت.

- لماذا؟

- ليست لدي فكرة. لقد استيقظت صباح يوم ما وقررت انني قد اكتفيت وانني تعبت من التنقل المستمر. وليس لي أصول ولا أي إحساس بالانتماء. لقد عدت في الحال إلى البلاد. والخطوة الأولى هي

"شيروكي" بولاية "اريزونا". والآن لم يعد امامي سوى التفكير فيما سافعله بحياتي. وسواء صدقتني ام لا فانا لا اعرف بعد سوى انني شبعت من آبار البترول وليست لدي نية الإقامة في "تكساس".

وافقته "شيرين" :

– ممتاز.. ممتاز جدا. ولكنك لم تقل: إن لك عائلة ما الذي حدث لوالديك؟

رد عليها "إيرول" بحدة :

– هل أنت من الشرطة؟ إنك تنتقلين من سؤال إلى سؤال ثم إن هذا السؤال تماديت فيه كثيرا!.

– أرجو المعذرة.. لم أكن أرغب أن أكون فضولية.

هدأ "إيرول" عندما رأى قلقها وحرجها:

– لا شيء.. ليس من عادتي الحديث عن نفسي. هذا كل ما في الأمر. ثم إن قصتي ليس بها ما يستحق الاهتمام.. لقد هجرت أمي الدار عندما كانت سني العاشرة أما بالنسبة لأبي فلم يكن سوى مدمن شراب وفي سن السادسة عشرة هربت أنا بنفسي وتظاهرت بانني اكبر من سني. ولقد مارست تقريبا كل المهن في "شيكاغو". بعضها قانوني والآخر غير قانوني وانتهى بي الأمر إلى توقيع عقد للعمل كمنقب عن البترول. كانوا يطلبون رجالا اشداء ولا يطرحون اسئلة فضلا عن ان العمل كان مربحا. لقد جمعت ثروة ضخمة من المدخرات، ويمكنني الآن الذهاب إلى اي مكان يعجبني. وهانت تعرفين الآن الامر، وهو كما ترين ليس مثيرا.

التهم قطعة من اللحم المقدد، ولكن الشابة لم تنخدع في لهجته الضجرة غير المبالية، والتي كشفت عن مدى الحزن الساكن في اعماقه ولايزال يلمع في عينيه السوداوين.

لقد تخيلته وهو صبي صغير وحيد وحزين ومحكوم عليه أن يكبر دون حب ولا شخص يهتم به. لقد كان عليه أن يقوم بدور البالغين مبكرا عما هو معتاد، ودون أن يعرف ابدا الحياة الآمنة المحمية التي كانت حياتها هي وحياة "كاستور". ثم إن "إيرول" رحل خارج البلاد، وهناك أيضا لم يكن له دار ولا عائلة تعلمه الحب. ومع ذلك نجح بمعجزة في الاحتفاظ بحنانه ورقته وحساسيته بدلا من أن يتحول إلى مخلوق شرس وقاس. دهش "إيرول" من شرودها وهو يرفع نحوها عينيه المحملتين بالحنان:

– ما الذي جرى لك ؟ إنك لم تعودي تاكلين؟

– لا.. لم تعد لي رغبة في الأكل فلم أعد جائعة إنها ضخمة تلك القطعة التي قدمتها لي .

– اكملي طعامك وإذا وجدت انك لن تستطيعي فإنني ساكله بدلا منك. ولكن يجب أن تتغذي يا "شيرين".. انت شاحبة للغاية.

– لا.. كل شيء على ما يرام واؤكد لك ذلك.

– اسمحي لي إنني لا اصدقك. إن من يراك يقول إنه.. لست أدري.. حزينة. هل انا مخطئ؟

– نعم.. إنني احس انني في منتهى المرح.. هيا هل ترى انني لو احسست بالجوع لبدات الصراخ. وبالمناسبة كيف ترى مدينتنا "شيروكي"؟ هل تعجبك؟

– نعم.. الناس لطفاء جدا والشوارع نظيفة والحوانيت يبدو اصحابها وكانهم سعداء بقدرهم، بل إنني تعرفت أيضا على المامور الذي كان طبعا على معرفة بوصولي وبباقي ما حدث. وقد قص علي حكاية الديك وعيناه تدمعان من الضحك.

– آه.. نعم؟ حسنا.. إنني اضمن لك بنفسي انه عندما حط الرجال هنا

في منزلي في الساعة الثانية صباحا لطرد طائري، لم يكن يضحك على الإطلاق، لقد كان في زيه الرسمي ومندمجا في الدور حتى إنني تساءلت: هل ينام بالبدلة الرسمية؟!

- لقد بدا رجلا طيبا وشجاعا!

- نعم.. معظم الوقت هو رائع. إذن "شيروكي" تعجبك؟

إذا كانت المدينة تبدو له مناسبة وصالحة للمعيشة فيها فلماذا لا يعيش فيها؟ إنه يستطيع أن يستقر ويعيش معها.. ولم لا؟ لم لا يتزوجها وينشئ أسرة. ولكن لا.. من الأفضل أن يكف عن أحلام اليقظة. أجاب:

- نعم تعجبني.. إن هذا الهدوء مفيد جدا لي.. وأنت ألا تشتاقين إلى حيوية "سان فرنسسكو"؟

- كلا.

- المسرح والتسوق والحفلات ألا تحسين نحوها بالحنين؟

- كلا.

- هيا! أتدرين لقد عرفت لماذا أصبح ملهى "ميراج" يغص بالمترددين؟ إنه الملهى الوحيد في المنطقة.

- أحب أن أذكرك أنه ليس ملهى سيئ السمعة وأنه مقهى ومنتدى.

- لا يهم.. إنك يمكن أن تنوعي فيه الأنشطة دون مشاكل وتقدمي سندوتشات و"جاتوه" بل يمكنك أن تفتحيه في وقت متأخر أو مبكر.

- إن هذا سيتطلب أن نكون منظمين أكثر ويحتاج إلى توظيف الكثير من الأفراد لأنه من الواضح أن "باري" لن يستطيع العمل ساعات إضافية. والعثور على الأفراد صعب حيث لا توجد أيد عاملة متوفرة في المنطقة.

- إنها فكرة خطرت على بالي لا أكثر ولا أقل لأن ملهى "ميراج" يبدو

لي غنيا بالفرص والإمكانات وأنت تديرينه بطريقة رائعة تستحق الإعجاب. وسأقول ذلك لـ"كاستور".

لسوء الحظ كانت الشابة تدرك أنها في مسائل الحب لا تستطيع أن تديرها بمثل هذا النجاح.

قالت بتواضع وهي تلتهم ملعقة من السلطة:

- شكرا.

- العفو.. وماذا سجلت في أجندتك بالنسبة لبعد ظهر اليوم؟

- لا شيء. وقد قمت بالفعل بري النباتات.. لماذا؟

- لأن المأمور.. أقصد "هاري" يصر على أن أناديه بـ"هاري"....

استطاع بهذه الطريقة أن يخفف من هلع "شيرين".

- نعم.. "هاري"؟

- باختصار فإن "هاري" استغنى عن سيارة جيب قديمة ووضعها تحت تصرفي وقتما أشاء. وأفكر أننا نستطيع الخروج للنزهة أنا وأنت. هل هذا يغريك؟

- إلى أقصى حد.

- حسنا.. لننته من الوجبة وننته من غسيل الأطباق وتجفيفها وترتيبها ثم لنخرج لإحضار العربة الجيب. لقد أخبرني "هاري" أنه سيترك المفاتيح في درج التابلوه.

- في هذه الحالة مادام "هاري" تكلم.

- لا تضحكي.. لقد أصبحنا رفيقين أنا وهو.

- لا يوجد من كان له حظك. أنا شخصيا لا أحتفظ له بذكرى طيبة.

- وماذا تريدين.. لا يوجد شخص كامل.. هل تريدين فطيرة؟

- لا.

إنها لن تنسى ما حدث لها عندما أكلت جزءا من البسكويت من يد

"إيرول".. لا داعي لأن تعيد الكرة ثم إن الحذر يقتضيها أن ترفض الذهاب للنزهة معه بمفردهما، بل ألا تستمر في إسكانه معها.. ولكن لابد من الاعتراف بأنها في حاجة رهيبة له ولوجوده. إن مجرد تخيله وهو يرحل للأبد داخل الحافلة عبر الطريق إلى "جاسبر" يجعل "شيرين" تحس بالرجفة تسري حتى سلسلة ظهرها.

لم يبق أمامها إذن سوى أن تتمتع إلى أقصى حد بما يوافق "إيرول ساجان" على إعطائه إياها.

الفصل الخامس

يعد شهر إبريل في "شيروكي" متعة ما بعدها متعة. كانت السماء تبدو كالقبة مثل شمسية زرقاء صافية وتمر خلالها من وقت لآخر سحابة بلون الكريمة المخفوقة. كانت الحرارة عالية في الشمس أما في الظل فيمكن التمتع والاستفادة تماما من الهواء المنعش بينما يتصاعد من الصحراء عبير الزهور البرية.

ولسوء الحظ من الناحية الإنسانية لا شيء يسير سيرا حسنا. فسيارة المأمور كانت غير صالحة خاصة مع قيادة "إيرول" لها. شهقت وهي تقرر أنها لازالت صغيرة على الموت بعد.

- يا سيد "ساجان"؛ هل يضايقك لو رفعت يدك من على بدال السرعة؟

قال بصوت زاعق حتى يغطي على صوت المحرك واحتكاك العجلات بالمطبات وصوت الرياح:

- مستحيل .. لابد من الاندفاع إذا أردنا الوصول لأعلى التل.

أخذت "شيرين" تسب وتلعن في سرها واغمضت عينيها. كانت قد تشبثت بحافة التابلوه الأمامي حتى أصبحت مفاصل يدها وأصابعها بيضاء. ثم أرسلت رسالة إلى شقيقها "كاستور" عن طريق تراسل الخواطر أو ما يسمى علميا بـ"التليباثي"، تعترف له أنها هي التي وضعت الصمغ على مقعد سيارته في اليوم الذي كان لديه موعد غرامي مع "سارة سوروزنتال". بعدها استعدت "شيرين" لأن تموت وروحها خالية من الذنب.

أعلن "إيرول" بلهجة انتصار وهو يبطل المحرك :

- ها نحن وصلنا ! يا لها من مغامرة.. أوه يا "شيرين" يمكنك أن تفتحي عينيك وتدركي أنك لازلت في أريزونا" وليس في السماء.

- هل نجحت ؟

- طبعا! هل تشكين في قدراتي كسائق ؟

على أية حال لقد تأثرت.. هيا تعالي نتنزه.

- إنني لا أستطيع.

- اسمعي إذن! لماذا؟

- لقد انحشرت أصابعي في التابلوه.

خلص "إيرول" أصابعها وأمسك رفيقته من عنقها ودلك أناملها ثم طبع عليها قبلة وقال:

- ها نحن انتهينا.. هل هذا أفضل؟

نظرت إليه نظرة كلها انتقام وقالت له :

- هيا ننزل من السيارة.

قفز "إيرول" من فوق مقعده ودار حول مقدمة السيارة ثم حمل الشابة بين ذراعيه ووضعها على الأرض برقة. شبك ذراعه في ذراعها وسارا وسط الزهور إلى أن وصلا لأعلى التل. كان المنظر الذي ينتظرهما هناك

خرافيا. صاح:

- إنه رائع! زهور وفواكه في البراري، وعلى السفح الخلفي توجد سلسلة من الجبال تبدو وكأنها تسهر لتحرس "شيروكي" وتطرد الدخلاء.

إن هذه المنطقة هي السمو والجمال بعينه يا "شيرين".

- إن المرء يجد فيها السكينة يا "إيرول" والسكينة هنا لا صلة لها بالسراب إنها سكينة حقيقية صادقة.

- نعم إنني أحس ذلك وبدأت أفهم سبب ارتباطك بهذا المكان. ولكن الأمر حساس لأنه يجب للحياة هنا أن يكون المرء واضحا مع نفسه ولا داعي للتصورات الخاطئة والمزيفة ولا للملهاة الدنيوية تنسيك من أنت. أعرف الكثيرين ممن لا يستطيعون تحمل هذا الجو من الصدق.

تساءلت "شيرين" في نفسها: "هل "إيرول ساجان" يستطيع أن يقاوم مناخنا ؟ ألا يغامر على العكس بأن يدير ظهره للحياة البسيطة ويضع رحاله على ظهره ويبتعد بين الجبال؟

قال "إيرول" وهو يشير إلى منطقة مكسوة بالزهور الصفراء والزرقاء على سفح التل.

- لنجلس هنا. إن هذا التاج الذهبي واللازوردي يبدو لي وكأنما صنعته يد فنان خصيصا لنا.

أسقطت "شيرين" جسدها وهي تضحك فوق العشب ثم بدأت تجمع بعض الزهور الصغيرة.

أحست بيد "إيرول" تلمس شعرها وتحل ضفائرها لينسدل شعرها على كتفيها وظهرها كشلال من الذهب.

- سأضع بعض الزهرات في شعرك وتصبحين بعدها أميرة.. أميرة التل والأراضي المحيطة.

قالت بصوت متثاقل وقد وضعت ركبتيها بين ذراعيها المتشابكتين :

- لو كانت لي السلطة لأعلنت المنطقة "أرض الحب والسلام والسعادة"، ولأصدرت أمرا بإنهاء المعارك والمشاجرات والشرور وسوء الفهم، وسيكون للحيوانات والآدميين أبناء سعداء مرحون ينجبون بدورهم أبناء أسعد، وكل منهم سيحكي قصة الأميرة المتوجة على التل.. ولكن يبدو أنني انسقت مع الخيال ألا ترى ذلك؟

- كلا. فإن كلامك يسعدني ويبهجني يا "شيرين"!

كان يهمس بصوت صادر من أعماق قلبه، واجه كل منهما الآخر وأخذ كل منهما يداعب الآخر، هي الأميرة الشقراء ذات العينين الزرقاوين وهو المليح الغامض ذو البشرة التي لوحتها الشمس وحياة التشرد. سرت في جسديهما مشاعر متباينة كلها حب ولا دخل لها بالخوف أو الشك أو التوتر. إنهما هنا بعيدان عن شرور الأرض المتحضرة. وسط الطبيعة التي لم تلوثها يد الإنسان والتقدم. لقد أحست الشابة بالسيادة لدرجة الألم. الألم لأنها كانت تريد أن تستعجل السعادة، مثلها مثل السجين الذي انتظر الحرية بلهفة وشغف فترة طويلة، ولم يعد يطيق انتظار لحظات الإفراج عنه. همست له في حنان:

- أرجوك أن تحبني يا "إيرول" أرجوك !

- اصمتي ودعيني أذهب إلى الحب الذي أريد منك أن تقدميه لي يا "شيرين".

تلألأت الدموع في عيني الشابة وحاولت التغلب على شكوكها وترددها وعدم ثقتها.

كررت عليه للمرة الثانية:

- أرجوك أن تحبني !

أذابت تلك الكلمات كل الثلوج التي كانت بينهما، وانفتحت أمامهما

طرق السعادة الأبدية.

استسلما لسعادتهما، واستغرقا في نوم سعيد خال من الأحلام المزعجة، وسط فراش من الخضرة والزهور الجبلية، وحولهما تشقشق أصوات العصافير والنحل، مختلطة بنسيم الهواء المنعش والعليل. وعندما استيقظا، استقبلتهما زهور قمة التل، وحاول كل منهما أن يفيق ويعود إلى أرض الواقع. سألها:

- هل أنت بخير يا عزيزتي ؟

- نعم لدرجة مذهلة. إنني لم أكن أعرف بوجود مثل هذا الهناء الروحي.. لقد حملتني إلى بعيد جدا.. عن العالم.. كم أود أن أظل فيه للأبد وأنت امرأة رائعة ولو استمررت في النظر إلي بعينيك اللازورديتين أكثر من هذا فقد أجد نفسي عاجزا عن الرحيل.

- إن ذلك سيكون رائعا.

بعد فترة طويلة بدأ يهبطان التل ويعودان تدريجيا إلى أرض الواقع. بدأ "إيرول" يتأمل المناظر المحيطة بهما وكأنها إطار يحمي حبهما. أغمض عينيه وبدأ يفكر: هذه المرة ليس مخدوعا لقد استسلم فعلا لتلك المرأة المعجزة. وصارحها بأدق خصوصياته.. هل ستواتيه الجرأة بعد ذلك على الهروب منها وقد أرعبه ذلك الرجل الجديد الذي أصبح عليه ويبدو له الآن واضحا تمام الوضوح؟ صاح بصوت منخفض:

- يا إلهي!

سألته "شيرين" في قلق :

- ماذا هناك ؟

- لا شيء .

- لا.. بل يوجد شيء.. إنني أحسه.. إنك تبدو متوترا.

تصلب جسده وزاد انتباهه عندما سألته :

- هل انت مسرور بما حدث ؟

مد "إيرول" ذقنه للامام فجاة وقد تجهم وجهه :

- نعم.. لا.. بل نعم.. هيا بنا إن الريح بدأت تهب وتشتد ولا ارغب ان تصابي بالبرد.

احست "شيرين" وكان سحابة سوداء بدات تظهر في الافق امام سعادتها. إن "إيرول" سيروغ منها ويصبح بعد ذلك بعيد المنال. بللت الدموع عينيها. فكرت في انها لم يسبق لها ان كانت قريبة إلى هذا الحد من السراب، ولم يسبق لها ان احست انها مرتبطة بهذا الشاب إلى هذا الحد من قبل. هل "إيرول" ينكمش لنفس الأسباب؟ كيف تستطيع ان تجعله يعترف بذلك؟ لانه بدا وقد تباعد كثيرا إلى تلك البلاد التي لا تعرفها .

اخذت تحاول ان تجمع شعرها في ضفيرة واحدة على شكل ذيل الحصان خلف ظهرها ولكنه قال :

- لا .. لا تفعلي هذا!

- لماذا ؟

- إنني افضل شعرك وهو يتماوج على كتفيك، إنه اجمل من الضفيرة.. ارجوك فإن ذلك يسعدني .

قالت بحدة وقد اصابها التوتر :

- صه! ثم إنني امشط شعري بالطريقة التي تعجبني...

انطبعت الدهشة على وجه "إيرول" الأسمر من تاثير الشمس والعمل عشر سنوات في حقول البترول، كان قد اخذ على غرة من تغير مزاجها المفاجئ ثم اكملت حديثها الحاد:

- بعد كل الذي جرى بيننا وبعد التجربة غير العادية التي مررنا بها تتجرا وتركب راسك وتبعدني عن افكارك وكانني لم اعد شيئا بالنسبة

لك ؟ إنني ثائرة وغاضبة.

- ولكن .

- لقد جاء علي الدور لاتساءل: هل حنانك ليس سوى سراب لانك عندما تنغلق على نفسك تحدثني بخشونة. ايها الدب الطليق.

- انا دب طليق؟ إنه لا تنقصك الشجاعة والوقاحة يا صغيرتي؟

كان قد اشتعل غضبا واطلقت حدقتا عينيه شررا مميتا ومهلكا. ردت عليه :

- نعم يا سيد ! إنني اعتبرك من الصفاقة بحيث تفسد عودتنا إلى الارض من تلك الرحلة التي هامت فيها روحانا في السماء. انا من ناحيتي لا استطيع تحمل ذلك. واطلب منك إذن الا توجه لي اي كلمة والا تلمسني إلا بعد ان تعود إلى عواطفك المتحضرة.

لم تجرؤ على ان تطلب منه الرحيل والا يعود مرة اخرى خوفا من ان ينفذ طلبها الذي قالته من وراء قلبها. وإذا كان حزينا وحساسا فإن ذلك لا يمنع كونه معتزا بكرامته وخشيت "شيرين" إلى حد رهيب ان يرحل دون ان يترك عنوانا.. إن الحرص واجب نفخ صدره وقال في ثورة شديدة:

- وبعد ايتها المخيبة للآمال ؟

نهض ثم تقدم منها وامسك بكتفيها بوحشية، ثم مسح دموعها بطرف اصبعه والتي كانت تلمع في عينيها :

- لا تبكي يا "شيرين" إنك تجعلين قلبي ينفطر، لم تكن لدي نية ان اسبب لك الالم.. لقد انتهى ذلك.. موافقة؟

- لقد فات الوقت.. والآن انا ابكي.

- إنني ارى ذلك. ماذا بإمكاني ان افعل حتى تستردي ابتسامتك؟

اهتزت "شيرين" من شهقة جاءت على حين غرة وتركته يربت شعرها.

وقالت:

- أنا لست مثل الآخرين الذين يغيرون مزاجهم بالسهولة التي يفتحون بها الصنبور ويغلقونه. انتظر إذن حتى ينتهي النشيج.

- حسنا جدا.. سانتظر إذن.. وفي رأيك كم من الوقت يمكن أن يستمر هذا النشيج ؟

تخلصت من يديه ومسحت في غضب جامح خديها بحركة غاضبة وقالت:

- إن جراح الرجال تشفى في دقائق اما جراح النساء فإن شفاءها خارج نطاق الزمن. والآن هيا نعود!

مشت بخطوات واثقة نحو المكان الموجود به السيارة الجيب ولحسن الحظ أن الفواق الذي كانت مصابة به قد هدأ مما جعلها تسترد بعض هدوئها.

ولكن "إيرول ساجان" ليس من الرجال الذين يلجئون إلى الهروب وهم يلعقون جراحهم لان امراة كلمتهم بخشونة. توترت اعصابه للنهاية وتأثر بصفة خاصة من الحزن الذي لمحه في صوت "شيرين". لحق بها بخطوات واسعة وامسك بذراعها ثم أدارها لتواجهه. قالت "شيرين" في نفسها: إن هذا الرجل المغرور برجولته أصبح الآن غاضبا ولكن لا، لوظن انني سأحاول مصالحته بكرامة فهو مخدوع لدرجة خطيرة. إن من أصابه المرض هو انا وليس هو. صاحت وهي تطرف برموشها :

- اخفض مخالبك يا "إيرول ساجان" .

- لا .

ماذا تفعل؟ هل ترسل لكمة بقبضتها إلى أنفه؟ إنه اقوى منها بدرجة كبيرة وهذا أمر مفهوم لا جدال فيه ويمكن أن تخاطر "شيرين" بأن تجد نفسها في المستشفى لو تحولت تلك المشاجرة الغرامية إلى معركة مرة

كالعلقم. فضلت أن تنتظر "ماسيلي".

- إنك لن تتحركي من هنا قبل أن تسمعي ما أريد أن أقوله لك والذي يرزح به قلبي. لقد سببتني نعم يا عزيزتي.. أن تصفيني بالدب المطلق إهانة لا تغتفر. ومن جهة أخرى أن تأتي تلك الإهانة منك تزيد من ضيقي.

إنني عندما اعترفت لك بانني سعيدبجوارك لم أكن أكذب. ولكن افهمي إذن انني بقدر ما كنت سعيدا فإنني في نفس الوقت أحس القلق والتوجس. لأن ذلك لم يسبق أن حدث لي من قبل.

لقد انقلب حالي تماما واعلمي انني لن أترك "شيروكي" قبل أن أحل هذا اللغز وقبل أن أعثر ثانية على "ساجان" الذي كنته قبل أن أقابلك.

فرحت الشابة وقالت في نفسها: إنه لن يتركها إذن في الحال وهذا يعني أنه لايزال متمسكا بها.. أليس هذا صحيحا؟ حاولت جاهدة أن تخفي الابتسامة التي جعلت شفتيها تنفرجان وأجابت بلهجة جادة قدر المستطاع :

- إنني أفهم الآن يا "إيرول" وسأحاول أن أفهمك أفضل في المستقبل وألا أتعصب بسرعة.

- ابتسمين ! لماذا؟ نعم.. نعم إن وجهك يضيء وأنا الذي كنت أعتقد أنك تبكين وأنك مصابة بالفواق...

- لست أدري أي معجزة جعلت ذلك يحدث لي، وإذا أردت الحقيقة لقد كنت مسرورة وأنا أسمعك تحدد أنك أحببت ما حدث بيننا فوق التل.

- نعم.. لقد كنت ... باختصار أنا آسف لأنني ألمتك. اعترف بانني تجاوزت الحدود بعض الشيء. قد يكون ذلك حركة غير مهذبة مني ولكن تأكدي أنني سأتذكر طوال حياتي ذلك التل وتلك الأميرة التي تمتلكه وما حوله. إنه سيصبح حلما لي سأتمسك به عندما تقلب لي الحياة

ظهر المجن.

ظنت "شيرين" انها ستنطلق في النشيج من شدة التأثر. قال لها هامسا بصوت موسيقي غنائي وهو يربت خدها:

- هيا.. هيا! لقد انتهى ذلك الحزن الكبير. إنني لا احتمل ان اراك تبكين خاصة عندما اكون السبب في بكائك. إنني لا استطيع تحمل الم.

- لا داعي لهذه الشفقة!

- كفي ودعينا نتمتع بهذه السعادة.

احست الشابة بساقيها تخونانها.. إنها تريد ان تمسك به لانه منقذها.. إنها تحبه ذلك المغامر. الذي قال لها :

- إذن انت لم تعودي حانقة علي. لا. حسنا لقد حان وقت العودة وإلا تاخرنا عن فتح الكازينو.

- إنه ليس كازينو يا "إيرول" إنه مقهى ومنتدى.

- لنعد إلى المنتدى. لنعد إلى "ميراج".. لنعد إلى "اريزونا" حبيبة قلبي.

ضحك فسالته :

- ماذا قلت؟

- لا يهم.. إنني فقدت صوابي.. لقد قضيت حياتي في الاصطدام بمشاكل ضخمة مع الواقع الخشن القاسي وحتى إذا كان ذلك لا يسعدني ابدا فإنني حاولت أن افعل احسن ما يمكنني...

- ما معنى ذلك؟

- لقد اتيت إلى "شيروكي" ولم يسبق ان حدث لي مثل ذلك. لقد فقدت صوابي بطريقة ما. ويمكن أن يظن انني تناولت جرعة زائدة من

اسراب.

- هل تفهمين؟

- لست سرابا!

قالت في نفسها: إن الحب الذي احمله له ليس سرابا. ولكن من الافضل ان تضغط اكثر من اللازم بالنسبة للاعترافات الشخصية العاطفية والتي قد تخرج مع الانفعال ثم يندم عليها فيما بعد. إن "إيرول" لاقى ما يكفيه من مشاكل دون حاجة لان تلومه على حبه.

- إنني احيانا احس بانني في خيمتي عند بئر بترول وانا احلم. وعندما استيقظ اجد صعوبة في فهم اين اكون.

- انت في "شيروكي" بلحمك ودمك. وقد حالفك الحظ يا صديقي.

تبادلا الابتسامات ثم تابع "إيرول" حديثه:

- إن هذه البلدة قدمت لي اجمل امراة في العالم ولكن بخلاف هذه الحقيقة المؤكدة لدي إحساس ان الباقي يطوقني.. هيا إلى الطريق يا انسة "كول".

- لقد نسيت ان اطلب من "باري" أن يعيرك ملابسه. من المؤكد انك اضخم منه ولكن بعض اللمسات والتعديلات تكفي.

- يا عزيزتي.. إنني ارفض ان ارتدي ملابس المهرج. عليهم أن يقبلوني على ما انا عليه أو يتركوني. هل هذا مفهوم؟

امتنعت "شيرين" عن التعنيق خوفا من أن تشعل غضبه، ومن الافضل ان تحتفظ باعتدالها. عندما استقرا في السيارة الجيب. حدقت "شيرين" في جنون في المنحدر الخطر الذي امامها وإلى قمم الجبال التي تمنع العالم الخارجي عن "شيروكي" اخذت تدعو في سرها أن تحفظ الجبال

لها.

"إيرول" وهي تعلم جيدا أن ذلك الرجل بعقليته الفروسية الضالة والجامحة سيحاول نهب الطريق الخطر. قالت له:

- إلى الطريق يا سيد.. سنعود إلى البيت.

انطلق "إيرول" ويده ثابتة كالحديد على عصا السرعة وعيناه السوداوان مركزتان على الممر الجبلي.. اندفع دون أن يعرف سبب إثارته في الطريق الذي يقودهما إلى "شيروكي".

ض؟

ستارة

الفصل السادس

للأسف الشديد كان هبوط السيارة إلى "شيروكي" له نفس الخطورة التي كان بها الصعود. كانت السيارة تهتز بشدة فوق الطريق الوعر وتصدر الإطارات صريرا رهيبا ينزع روح الإنسان.

جلست "شيرين" وقد تكومت وقبضت بيديها على التابلوه وأغمضت عينيها وأخذت تتلو دعواتها انتظاراً للموت.

عندما لم تعد تسمع شيئا تقريبا رفعت مقلتيها قليلا وحدجت "إيرول" بنظرة لا تبشر بالخير واكتفى بأن هز كتفيه واتجه نحو الكفر دون أن ينبس بكلمة واحدة. أصدرت "فرملة" اليد صريرا ووقفت السيارة أمام محطة الوقود المحلية. قال عامل المحطة وهو رجل عجوز جففته الصحراء:

- هالو يا "ساجان".

- مرحبا يا "نورمان" املأ الخزان من فضلك.

لها.

ب السيارة الجيب القديمة الخاصة بالعجوز "إيرول" وهي تزهرة وهو يعيرك عربته القديمة. الله وحده يعلم كم والجام بها.

حد تصرفت تصرفا ممتازا ولن يزعجني ابدا لو باعها لي إذا اردنا حقيقة.

بدا عامل المحطة العجوز دهشا الأمر الذي سر له "إيرول" كثيرا.

وضع "نورمان" خرطوم البنزين وملأ الخزان. إن "شيرين" لا تصدق عينيها. إن سائق السيارة الذي تجلس بجواره عقد صداقته مع كل الناس. لقد تعودت دائما أن تنادي ضابط الشرطة بالشريف، وصاحب محطة الوقود بالسيد "فنسنت" بسبب سنهما وإذا كان "ساجان" قد بدا مقبولا من الجميع فإن ذلك لانه عاش في إطار تلك البلدة الصغيرة المختفية والمحاطة بسلسلة من الجبال وان السكان فهموا ان "ساجان" لم يجد صعوبة في ان يندمج بينهم.

المشكلة انه هو الوحيد الذي لم يدرك ذلك ولا يعرف إلى اي حد يحبونه. قال لصاحب المحطة بصوت جعل "شيرين" تخرج من افكارها :

- إلى اللقاء قريبا يا "نورمان" !

- كن حذرا يا "ساجان" وانت كذلك يا "شيرين".

قالها الرجل العجوز وهو يودعهما. سارت السيارة الجيب مائة متر ثم ركنها "ساجان" في المكان الذي أخذها منه. هبط الاثنان منها وعادا إلى دار "شيرين".

لما كان كل منهما لا يوجه الحديث إلى الآخر، فقد اصبح السكون ثقيلا مثيرا للتوتر. حدجت "شيرين" رفيقها بركن عينها، كان قد دس اصابعه في حزام بنطلونه وبدا هادئا ولكن فكيه كانا مشدودين، يدلان على انه ليس هادئا بالمرة. عندما دخلت "شيرين" البيت قالت بلهجة

ارادت ان تبدو غير مكترثة :

- إنه دوري ان اقوم بالطهي ما رايك في عجة بيض؟

- فكرة طيبة واثناء ذلك سأذهب لأخذ دشا.

راته يراوغ وسط غابة نباتات "جير ترود" ويختفي خلف ستارة النباتات داخل الحجرة.

تساءلت هل سيشتركان في الحجرة بعد ما حدث اثناء الرحلة الجبلية؟ هل سيقرر المبيت معها حتى نهاية إقامته ؟ لما كانت تلك الأسئلة لم تفدها لشيء فقد نشطت الشابة وبعد قليل بدات رائحة البصل والتوابل المحمرة تختلط برائحة القهوة. أعلن "إيرول" الذي ظهر مرة ثانية على عتبة المطبخ.

- إنها رائحة لذيذة.

التفتت "شيرين" بما يكفي لإلقاء نظرة سريعة ثم عادت إلى أواني الطبخ مرة ثانية. كان مرتديا بنطلونا - من القطيفة المضلعة لونه أسود، وقميصا بأزرار مذهبة معدنية - ابرز عضلاته بينما كان شعره لايزال مبتلا وقد ازداد لمعانا. يكفي "إيرول" أن يظهر على هذه الصورة حتى تفقد رفيقته صوابها وتتقطع انفاسها. سألها:

- الن تخبريني عن تلك العجة؟

- اجلس وانتظر حتى يتم إعدادها ولن يستغرق الأمر سوى بضع دقائق.

اطاعها "إيرول" وقد وضع يديه خلف رقبته واخذ يتارجح على مقعده وهو يتأمل "شيرين". اجتاحته رغبة عارمة أن يدلك ذلك الشعر الذهبي، وأن يعيش تلك اللحظات العائلية للأبد. ولكنه كان يعرف أن ذلك مؤقت لأن "شيروكي" ليست سوى خطوة بعدها... خطوات أخرى في أماكن أخرى.

تساءل وهو ينتصب فوق مقعده: وماذا لو بقيت؟.. اللعنة.. لو كان ذلك من أجل أن يسمعهم يقولون: إنه ليس سوى عابر سبيل وسط وجود ممتلئ حيوية...

- لا. إن "إيرول" عانى بما فيه الكفاية: رحيل والديه وهجرهما له في الوقت الذي كان ينتظر منهما وجودهما معه. إن الطفل الذي لم يكن ينتظر سوى الحب تلقى الصدمات من أب مدمن شراب. من وقتها وهو لا يظل في أي مكان وقتا طويلا ويتجنب بذلك معاملته كشخص غير مرغوب فيه. ومع ذلك فإن فكرة أن يترك "شيرين" كانت تشعره ببرودة في أوصاله وظهره. أدرك أنه بالتأكيد تغير.

- سأقوم بإعداد المائدة موافقة؟

- إذا أردتِ يا "إيرول"... ولكن. هل تحس بأنك بخير؟

رأته يمسح جبهته التي غطاها العرق.

- نعم.. كل شيء على ما يرام.. يمكنني أن أقوم بدور النادل حتى صباح غد.

سألته الشابة وهي تضع العجة في طبق فوق المائدة:

- أين تعلمت هذه المهنة ؟

- يا إلهي! لقد خدعت رئيسي. لقد عملت في الإنشاءات والبناء وقدت سيارات النقل الثقيل وقمت بأعمال التفريغ والنادل في علب الليل وكل ما استطعت أن أحصل منه على أكل عيشي.

- لقد كتب لي "كاستور" في إحدى المرات أن المرء لا يجد الكثير مما يمكن أن يعمله في حقول البترول وأنه يستفيد من وقت فراغه لدراسة علم إدارة الأعمال بالمراسلة. لقد كان مثل والدينا لديه ناحية من عدم الاستقرار، وهو ما يشرح سبب اختياره مهنة خارج البلاد.

وأنت هل انتظمت في دراسة بالمراسلة عندما كنت تعمل بالخارج؟

- نعم مثل بقية الناس في الموقع.

قالت "شيرين" وهي تجلس أمام المائدة :

- اجلس.. وأي مادة درستها ؟

- المحاسبة والإدارة وبعض هندسة العمارة.

لقد رسمت منزلا سيعجبك. وحتى أسلي نفسي بلغ بي الحد إلى درجة تقدير تكاليفه فيما لو قمت ببنائه بنفسي.

- هل قررت فعلا أن تبنيه ؟

- لا .

- ولم لا ؟

- لأنني لا أجد ضرورة لبناء بيت مثله.

إنه كبير جدا. يشتمل على أربع حجرات بالإضافة إلى الباقي.. لا.. إنه ليس سوى تسلية لقضاء الوقت وحلم رجل وحيد منعزل عن العالم وعن كل شيء تقريبا... إن "كاستور" يعمل وهو في منتهى الضيق. ولن أعجب لو رأيته يعود إلى هنا بعد قليل. إنه لم يخلق لهذه المهنة التي تفرض على المرء عزلة تامة .

- وأنت كذلك ؟

- لا إنها تناسبني إلى حد كبير .

- إلى أن يمنعك شيء ؟

هز "إيرول" كتفيه بلا اكتراث ثم رفع شوكته وهجم على العجة. أكل الاثنان في صمت قطعته "شيرين" بعد فترة وسألته :

- إذن أنت لا تريد الاستقرار في مكان ما تحس فيه أنك في بيتك؟

طبعا إنه يرغب في ذلك. ولكن "ساجان" يعرف أيضا أن الرغبة -الشديدة- في شيء قد تفقد صاحبها كل شيء.

كررت سؤالها :

- انت لا تريد ان تجيب علي.. اليس كذلك؟

قال مقترحا :

- هل أصب لك قدحا من القهوة ؟

أصرت "شيرين" :

- تذكر أنك عندما أتيت إلى هنا قلت : إنك استقلت من عملك لان حياة التشرد ثقلت عليك وانك تتمنى أن يكون لك مكان في جهة ما. هل غيرت رأيك؟

أمام هذا الإلحاح عاد إلى الجلوس وتهكم وقد تجهم وجهه :

- هل ستتابع الآنسة استجوابها؟

- دون شك. ولكن ذلك لانني مهتمة بك.

- هذا واضح... حسنا وماذا يمكنني ان اقول ؟

حقيقي إنني استقلت ولدي فكرة الاستقرار في مكان ما ولكن..

- ماذا ؟

- تصوري أن أعلن لشخص ما تعود حياة الاستقرار أن عليه أن ينتقل باستمرار؟ إن ذلك سيسبب له الاضطراب الشديد. اليس كذلك ؟ وفي حالتي الامر واحد. إذا كنت اتمنى أن استقر فإنني اجهل كيف احقق ذلك. هل فهمت ما اقصد ؟

- لا حقيقة. حتى تستطيع الاستقرار في مكان ما.. ما عليك إلا ان تبقى فيه ولا تغادره.. بمنتهى البساطة .

- وكيف اكسب عيشي بهذه الطريقة ؟

- يمكنك أن تجد وظيفة في المبنى الإداري أو العمل بالمحاسبة ويمكنك ايضا أن تصبح كبير السقاة في ملهى مثلا .

كانت طبعا "شيرين" تقصد ملهاها الذي لا يوجد غيره في المنطقة. ولكن بدا وكان "إيرول" لم يقتنع. إن مشروعه يعني تغييرا كاملا في

نمط حياته، وادركت "شيرين" انه لا يعرف كيف يحقق ذلك. والادهى والأمر من ذلك انه لا يعرف كيف يحب.

ولكن ما الغريب في ذلك؟ إنه لم يعرف ابدا حب الآخرين له وبالذات اثناء طفولته، لذلك لن يستطيع التعرف على الحب.. حب الآخرين له وحبه للآخرين. والدليل على ذلك تلك العواطف التي تثيره نحو الشابة تبدو له غريبة وغير معروفة لانه لا يجد اي نقاط للمقارنة . لابد إذن من مساعدته حتى ينتصر الحب الذي تحمله نحوه والذي أصبح الآن الأساس في حياتها.

- لقد تاخرت الساعة يا "إيرول" ساقوم برفع المائدة ثم أذهب لآخذ دشا .

قالت ذلك بعد أن تجرعت بعض القهوة التي صبها لها.

- لا.. لقد قمت بالطهو والدور علي لترتيب كل شيء.. اذهبي إذن لتستعدي للنوم .

- يا إلهي !

- هيا اذهبي.

- موافقة .. خبرني:

- ماذا؟

- شكرا على اليوم الرائع الذي قضيناه معا ..

التقت نظراتهما وتشابكت وأحست الشابة أن ساقيها تذوبان تحت جسدها وأوشكت أن تفقد صوابها من تأثير عينيه اللتين كان سوادهما أكثر حلكة من الليل. سألها :

- هل تثقين بي ؟

- نعم.. مؤكد.

تساءلت "شيرين" عن المعنى العميق لسؤاله ولكنها لم تستطع أن

تصل إلى انه يزداد حيرة لأن ما يحسه في تلك اللحظة يدفعه إلى الاعتقاد أن تلك الشابة هي امراة حياته وانها لا يمكن ان تكون لأحد غيره. همس لها وقد احس انها دخلت إلى اعماق قلبه عن طريق عينيه:

- أنت المعجزة الثامنة على الأرض يا عزيزتي .

اجابته :

- إنني في منتهى السعادة.
- إذن اكرر السؤال هل تثقين بي؟
- نعم يا "إيرول ساجان" إنني اثق بك ولقد اثبت لي انني على حق في تلك الثقة .
- إذن انت تخافين مني ؟
- لا .

رفع يديه الضخمتين ومسح دموعها بسبابتيه .. دموع السعادة التي طفرت من عينيها، بدا كل منهما يسترد سيطرته على نفسه.

سالها:

- اعتقد ان احدا لم يسبق ان اولاني ثقته من قبل يا "شيرين".
- ربما لأنك لم تتح الفرصة لأحد حتى يوليك ثقته. هل سمحت لأحد من قبل ان يقترب منك وتتقارب معه ويتعرف عليك ويمنحك ثقته؟
- لا شك أن الحق معك يا "شيرين" نعم أعتقد انك على حق. ولكني أتساءل: لماذا اختلف الأمر معك انت بالذات؟

قالت له وهي حالمة :

- لأنني احبك.. الا تظن أن الوقت حان كي تولي أحدا ثقتك؟ فكر في هذه الكلمات العميقة بينما ساجري لأخذ دشا.

تركته "شيرين" يرتب المطبخ بمفرده والذي فعله بيد مرتجفة.

أن يولي ثقته لشخص ما؟ لـ"شيرين" مثلا؟ إن "إيرول" ليس سانجا.

لقد طلبت منه بكلام مستتر الا يشك فيها وان يضع ثقته فيها. ولكنه يخشى إذا سلم سلاحه أن تعطيه ركلة في مؤخرته عندما تحس بالضجر منه. لقد حصلت "شيرين" على قوة تاثير عليه لا يمكن الشك فيها من جميع النواحي ذهنيا وعاطفيا وجسديا، ومع ذلك فإنه يعترض على ذلك. فلا داعي لأن يخشى انقلابها عليه فهي تثق به. هذه الثقة هي هدية رائعة. لقد وضعت نفسها في هذا المساء تحت رحمته كليا. وهذا وإن لم يكن في عنف رقصة الحب وسط الزهور في الجبال إلا انه لا يقل عنه جمالا.

ماذا هناك إذن؟ لماذا يرتاب في تلك الثقة التي جعلته يبوح لها باسراره كما لم يفعل ابدا مع اي شخص اخر؟ لقد اصبحت "شيرين" في الحقيقة تعرف كل شيء عن طفولته التعسة، وهي وحدها تعرف إلى اي مدى وجد صعوبة في الاستقرار، وانه كان يحلم بالاستقرار بشراهة، وهي اخيرا الوحيدة التي استطاعت ان تستكشف خلف هذا القناع المغامر، روحا مترددة تحاول ان تعثر على سبب للحياة .

وعلى الجانب الآخر ادرك "إيرول ساجان" انه في الحقيقة اولى ثقته فعلا للشابة. لقد دهش هو نفسه من ذلك لدرجة انه أخذ يمسح المائدة بالمنشفة في غضب شديد. غمغم موجها كلامه للفتات الذي جمعه في راحة يده.

- وماذا بعد ؟ ما الذي سامنحها إياه اكثر من ذلك؟ لأنه لا يوجد أي سبب يمنع من استمرار هذه العملية.. لقد كانت رائعة جدا تلك التجربة وكم هو رائع ان يثق المرء في شخص ما. لقد دابت "شيرين" على سؤاله: هل انت مستعد للرحيل؟

وها هي الآن تساله من نهاية غرفة الإقامة نفس السؤال ولكنها هذه المرة كانت تقصد الرحيل معا إلى الملهى .

اخذ الطاسة التي كانت لاتزال متسخة ودسها بسرعة داخل الفرن وصاح :

– نعم .. لقد انتهيت .

لحق بـ"شيرين" وهو يدور حول النباتات بطريقة آلية من كثرة التعود. فجاة وقف وقد اتسعت عيناه واستدارتا :

– ما هذا الكرنفال؟ لا.. لا.. لا مجال للمناقشة لانك لن تخرجي بهذه الصورة. هيا بدلي ملابسك يا "شيرين" !

قالت الشابة في حنق: لان زي راقصة من "هاواي" هو المالوف يوم السبت:

– ما هذا الذي تقوله ؟

– إنك لن تقولي لي : إنك سترتدين هذا الزي؟ إنها مجرد اسمال بالية!

– عليك أن تظهر بعض الاحترام يا عزيزي! إن هذه الأسمال البالية كما تسميها هي نسخة طبق الأصل من ملابس راقصات "هاواي". ثم إنني اعتقد ان التنورة والقميص ذا الزهور الخاص بـ"باري" يمكن ان يكونا على مقاسك تماما. ولسوء الحظ إنك مصر بعناد على ان تظل بزي المدينة.

– هل رايت نفسك في المراة يا "شيرين"؟ إنك نصف عارية واي حركة راقصة او غير راقصة ستظهر كل شيء !

– كل شيء ؟

– نعم تقريبا كل شيء.. هل تريدين أن تتعرضي للاغتصاب في ذلك الملهى.. هيا اذهبي وبدلي ملابسك.

– لا مجال للمناقشة.. إنني أرتدي هذا الزي كل يوم سبت ولا ارى داعيا لتغييره.

قال لها "إيرول" في غضب جامح وهو يلكم صدره بقبضته :

– انا فقط المسموح له برؤية ما يسمح به هذا الزي.. انا ولا انوي أن اسمح لاي شخص من هؤلاء بان يملي عينيه..

– يملي عينيه؟ إنك تمزح دون شك !

– لا.. اذهبي واستبدلي ملابسك.

– لا.

ضغط "إيرول" قبضته وضاقت حدقتاه واتجه نحو الشابة. احست "شيرين" بان دمها تصفى من جسدها واصبحت مثلجة ومع ذلك لم تتراجع خطوة واحدة. بل العكس رفعت ذقنها في تحد. وقف "إيرول" على بعد سنتيمترين منها. وقد تغيرت ملامحه من الغضب .

– إن زبائني الذين هم في نفس الوقت اصدقائي لا ياتون إلى ملهاي حتى يملوا عيونهم يا سيد !

– اه ها ؟

– بالضبط! وهم ايضا لا ياتون بحركات خارجة. إن "ميتزي" و"كارمن" سترتديان هما ايضا هذا الزي يوم السبت لان يوم السبت هو عيد "هاواي".

رفع "إيرول" عينين ملتهبتين نحو السقف وهو يحاول كبح غضبه:

– حسنا.. ولكن اول شخص اضبطه ينظر إليك بطريقة غير لائقة او فضولية ساجعل راسه يصطدم بالبلاط.

ردت عليه "شيرين" بلهجة قاطعة وهي تبتعد بسرعة نحو الدهليز:

– لقد تم الاتفاق ! إن هذا سيمنحك الفرصة لتثرثر مع رفيقك "هاري" المامور إذا قبض عليك .

– وماذا في ذلك؟ هذه ليست اول ليلة اقضي فيها الليل وراء القضبان.

- تصور انني لم ادهش لما تقول على اية حال فإن ذلك ليس بغريب عليك.

صاح "إيرول" في صوت راعد وهو يراها تضع يدها على اكرة الباب :

- "شيرين"؟

- ماذا ايضا ؟

- لقد تشاجرت عدة مرات فعلا ولكني لم اتشاجر ابدا من اجل امراة. ومع ذلك اؤكد لك انه لو لمس احد حتى بعينيه فإن ذلك سيحمي وطيس المعركة. إنني احس بالمسؤولية وقبل كل شيء فانت ملكي بطريقة ما.. اليس كذلك؟ ما بقيت في "شيروكي" فانت لي. مفهوم؟

إن ذلك المغامر لا ينقصه الغرور! لا شك انه يعيش في عصرغير هذا العصر. إنه لا يعلم أن زهو الرجولة قد عفا عليه الزمن. ندمت "شيرين" لانها لم تتمرن على المصارعة لانها هذا المساء ستجد فرصة ذهبية لممارستها على شخصية "إيرول ساجان" حتى تريه قدره. صاح :

- "شيرين" ؟

- نعم فهمت .

- حسنا.إذن. إن ذلك رائع... هيا إلى الطريق.

تارجحت "شيرين" بين رجلها المزهو برجولته وبين حبها الذي لم تبح به والذي حولها إلى صورة غلاف وسارت بخطوات واثقة فإنها تحس بانها محمية.

عندما وصلا إلى الملهى اضاءت "شيرين" القاعة ثم ذهبت إلى ما خلف البوفيه لتراجع وجود العدد الكافي من المشروبات والعصائر. قام "إيرول" بزيارة إلى المخزن الموجود بالحجرة الملحقة. اما الحجرة الأخرى فقد كانت فارغة إلا من بعض الكراتين الضخمة المرصوصة بجوار الجدار. صاح بصوت قوي موجها الحديث لـ"شيرين":

- يا لسوء استخدام المكان!

اجابته "شيرين" وهي تقف على عتبة الحجرة :

- ليس هناك إهدار لاي شيء لانه ليس لدينا اي استخدام لها.

- ما الذي تحويه تلك الكرتونات ؟

- علب فول سوداني ويوجد ثلاثة اضعاف هذه الكمية زيادة .

- وهل انت حاولت بيعها؟

- انتظر حتى اشرح لك كيف تملكت كل هذه الكمية. إنك ستضحك! في إحدى الامسيات وصلت شاحنة وقال سائقها إنه ضل الطريق. باختصار كان ذلك يوم عيد ميلاده، وعزم على الموجودين بدورة من الشراب على حسابه، تلتها دورة أخرى وهلم جرا. ولكنه في اليوم التالي عندما افاق إلى نفسه اكتشف انه ليس لديه نقود. لذلك ترك لنا شحنة الفول السوداني تعويضا لنا عن النقود التي كان مدينا بها نظير كرمه الشديد. لقد توسلنا إلى الزبائن أن يحاولوا اكل الكمية قبل ان ينتهي تاريخ الصلاحية.

علق "إيرول" وابتسامة تعلو شفتيه :

- إن هذا لا يدهشني منك ! ثم إن هذه الحجرة تبدو لي مثالية.

- لاي شيء ؟

- لإعداد السندوتشات والمربات والحلويات والفطائر.

اسمعي.. يمكننا أن نضيف حوض مطبخ هنا وثلاجتين كهربيتين هناك وموقدا و"ديب فريزر" وموائد ومقاعد.. وفي سرعة البرق لن يبقى امامك سوى طلب تصريح بافتتاح كانتين. او كافيتريا للوجبات السريعة.

- نحن لدينا رخصة بالفعل.

- كفي عن المزاح !

- إن الأمر جاد فعلا! عندما جاء المفتش من مدينة "جاسبار" اقسم لنا انه لن يعبر مرة أخرى الجبال التي تعزل "شيروكي" عن بقية العالم. واعطاني في وقت واحد الرخصة من أجل بيع المشروبات والماكولات. وقد اجتزت انا و"باري" الفحوص الصحية ولم يبق سوى إرسال "ميتزي" و"كارمن" لإجراء تلك الفحوص كي تستطيعا خدمة الزبائن.. ولكن احلم .ليست لدينا النية لافتتاح قاعة جديدة...

- ولم لا؟

- لان ذلك سيجبرنا على فتح المحلات في وقت مبكر وتعيين شخص.. وتحمل المزيد من القلق والوساوس والمتاعب المتوقعة. والعمل يسير بنجاح فماذا تطلب اكثر من ذلك ؟

- يا إلهي !

- ماذا؟

- يا إلهي! إن هذا ربما يكفيك انت ولكن "باري"؟ إنه سيصبح قريبا ابا والاولاد يكلفون الكثير. كيف سيتصرف عندما يصل الطفل إلى الجامعة ما لم يدبر حاله مسبقا ؟

سخرت منه :

- يبدو انك فكرت في الموضوع ؟

- لا داعي للضحك! إنك لا تستغلين هذا المكان اقصى استغلال.. عندما تنتهي مشاكل "باري" بالنسبة للولادة يجب عليه وعليك مناقشة الأمر لانني.. أوه اللعنة! إنني اشعر انني اتدخل فيما لا يعنيني.

-لا على الإطلاق.. استمر من فضلك .

- هذا هو الأمر: إن ما اعرفه في مادة المحاسبة وحساب التكاليف يمكنني أن اجعلك تستفيدين من الوضع. ولو أريتني الدفاتر الحسابية أستطيع أن أخبرك ماذا تتوقعين. ولا يبقى امامك انت و"باري" سوى أن

تقررا .

صاحت :

- إنني لن أسمح لنفسي أبدا أن اطلب منك هذه الخدمة يا "إيرول".

- ومع ذلك فإنني أؤكد لك أن هذه الفكرة تسليني وتسعدني، وسيسعدني لاقصى حد أن اشغل كل وحدات هذا المبنى بطريقة لا تحلمين بها .

- من الواضح طبعا انك ستغير رأيك بمجرد ان تبدا في إعداد امتعتك. ولكن على اية حال يمكنك ايضا ان تتسلى لحين وصول تلك الامتعة .

- ماذا؟ آه.. نعم.. لقد نسيت موضوع الامتعة وإنني اتساءل: اين هي حاليا. إذن لنلخص الأمر: انت موافقة أن ادس انفي في حساباتك ؟

- لابد من أخذ راي "باري".. ثم.. لا.. إن لديه ما يكفيه من متاعب. على اية حال ليس عندي قرار اتخذه. امامك الضوء الأخضر يا "إيرول". هيا. من الافضل أن افتح الابواب لابد أن الزحام بدأ.. إن ليلة السبت هي الامسية المشحونة للآخر.

- هل هي التي نرى فيها أكبر عدد من المسافرين ؟

قالت بتهكم :

- ولكن.. بالتأكيد.. واعلم على اية حال ايها المزهو برجولته أن رجال "شيروكي" حسنو التربية .

***

بعد ساعتين من الافتتاح. ادرك "إيرول ساجان" انه ليس هناك ما يخشاه فقد كانت قاعة ملهى "ميراج" كاملة العدد والفرقة الموسيقية تعزف كالعادة وحتى هذه اللحظة لم يرفع احد عينيه نحو رفيقته الجميلة. حتى إنه تساءل: هل هذا التنكر الغريب وشبه العاري له اي

فائدة في اجتذاب الزبائن؟

ورغم أن معظم الزبائن من العمال خشني الطباع إلا أن سلوكهم يدل على حسن التربية في مسلكهم مع "شيرين" والساقيتين. والاحترام أيضا كان يشوب دائما أصواتهم عندما كانوا يوجهون الكلام إليهن. وهذا الوضع يناسب "إيرول" تماما.

- مساء الخير يا "شوشو" .

- مساء الفل يا شمس حياتي.. نفس الشيء ؟

كان ذلك هو الحديث المتبادل بين "إيرول" والعمة "باتي" .

- لا تنس بوجه خاص الكريز.. مساء الخير يا "شيرين" هل من أخبار عن "باري" ؟

- لا.. أتعشم أن يتصل بي غدا ويخبرني بأنباء "باربي".

في تلك اللحظة دخل رجل صغير الجسم وإن كان قوي العضلات مع رفيقين أضخم منه شديدي البأس. قالت لهم "شيرين" وهي تبتسم :

- مرحبا "شانكي" و"ويلبر" و"جوبيتر".

قال "إيرول" للعمة "باتي" وهو يناولها الكوكتيل :

- هذا لك يا عمتي "باتي". وأقدمه لك لأنني مدين لك به على أية حال .

دهشت "شيرين" وسألته :

- على شرف من ؟

ردت العمة "باتي" :

- هذا ليس شأنك يا آنسة "فضول".. أنا و"إيرول" متفاهمان .

قالت "شيرين" :

- آسفة لفضولي.

ولكنها كعادتها تملكها الفضول فسألت بعد فترة :

- ما الذي تفاهمتما عليه إذن؟

- أسرارنا الصغيرة.

غيرت العمة "باتي" سحنتها ووجهت الكلام للرجال الثلاثة الذين وصلوا منذ قليل .

- عد إلى بيتك يا "شانكي" وخذ معك "ويلبر" وكذلك "جوبيتر" واذهب..هيا!

ضحك "شانكي" من كل قلبه.

- إنني في الواحدة والثلاثين من عمري يا عمتي "باتي" ولذلك لي الحق في النوم متأخرا بعض الشيء ولا أقوم بدور جليسة الأطفال في البيت .

- من فضلك أرجوك أن تعود للبيت يا "شانكي".

كان هذا صوت "شيرين" هذه المرة وهو يتوسل:

- إنهم هنا.. أليس كذلك؟ لقد رأيتهم يا عمتي "باتي" ؟ ألم يقطعوا الطريق من "جاسبر" حتى هنا؟ كلهم ؟

زمجر "إيرول" الذي أحس أنه متجاهل :

- ما الذي يجري إذن ؟

- إنهم في المدينة. لقد شاهدتهم يبدلون إطار السيارة.

- من هم إذن ؟

- لا تشغلي بالك يا "شيرين". إنهم سيذهبون للقائهم. وبهذه الطريقة لن نكسر كل شيء بالداخل كما حدث في المرة السابقة.

أحس "إيرول" بالضيق والتبرم وهو يراهم يتحدثون بالشفرة فوجه لكمة قوية على سطح البوفيه :

- عن أي شيء تتحدثون أيها الملاعين؟

شرحت له "شيرين" وقد اكفهر وجهها عند ذكر الأسماء.

- إنهم الإخوة "ماكني". إنهم يكرهون "شانكي" و"ويلبر" و"بيتر" لأنهم

تجرعوا وراقصوا شقيقاتهم في حفل "چاسبر" من غير المفروض ان يخالط أهل "شيروكي" اهل "چاسبر" خاصة عندما يتعلق الأمر بالنساء والعكس أيضا صحيح.. إنه غباء اليس كذلك؟ ولكن الأخوة "ماكني" كالحيطان خاصة عندما يتشاجرون فهم يخرجون أسلحتهم البيضاء بلا سبب.

- هيا عودوا إلى بيتكم يا فتيان.

قالت العمة "باتي" تؤيدها :

- هيا .. اذهبوا.

ولكن باب الملهى فتح على مصراعيه فعلقت السيدة العجوز :

- لقد فات الوقت .

فح "إيرول" من بين أسنانه :

- يا إلهي! يا لهم من اقوياء !

سألته "شيرين" وقد امتلأت رعبا :

- ماذا سنصنع يا "إيرول" ؟

- يا إلهي ! "شانكي" وإخوته وأنا نصبح خمسة وبذلك تكون امامنا فرصة الفوز عليهم. أليس كذلك؟

رد عليه "شانكي" :

- لا تحشر نفسك في هذا يا "إيرول" ! نحن فقط المقصودون .. ولا ينقصنا شخص مثلك ليساعدنا حتى لو احتجنا للمساعدة. إن المسألة مسألة شرف ويجب أن نخرج من الورطة بمفردنا.

- إنني احترم وجهة نظرك يا "شانكي" ولكن لما كان هؤلاء المسلون الصغار لا يأسفون لوزرعوك في ملهى "شيرين" ولما كانت "شيرين" وانا

معا .. فإنني لن اعرضك للقدر وما قد تتعرض له انت والملهى.

حدق الرجلان في بعضهما البعض في تحد بينما تنظر إليهما "شيرين" وهي تعض اصابعها. انتهى الأمر بـ"شانكي" أن ابتسم:

- إننا سنرسلهم إلى الجحيم يا "إيرول" ! وغرقت "شيرين" في موجة عارمة من القلق والتوجس لا حدود لها .

الفصل السابع

خيم الصمت فجاة حتى إن الموسيقيين توقفوا عن العزف وكانما الموت انهى حركاتهم، ولم يتحرك الزبائن من اماكنهم وقد تركزت عيونهم على الباب .

قال اكبر الإخوة "ماكني" موجها الحديث إلى "شانكي" :

– إننا بالضبط نبحث عنك انت وهؤلاء الجرار. لدينا موضوع لابد من تسويته.

قال "إيرول" لـ"شانكي" :

– اسحبهم للخارج .

قال "ماكني" آخر بصوت ممطوط وهو يمضغ الحروف :

– آه.. نعم؟ من هذا؟ لا تتدخل ايها الغريب. إن هذا ليس شانك.

– بل شاني . لابد من تجنب الاعتداء على ممتلكات "شيرين". انا معها. تصور هذا !

قال ثالث بصوت كخوار الثور وهو يرمق الشابة بعين فاجرة :

– هل هو معك يا "شيرين"؟ إنني اتساءل: لماذا يتدخل هذا الصعلوك ؟

رات "شيرين" "إيرول" ينتفخ وعضلاته تبرز فهمست بين اسنانها:

– ما كان عليه ان يقول ذلك ! الرحمة يا رب!

قال "إيرول" آمرا الشاب الوقح :

– اخرس وإياك ان تقول لها مرة ثانية مثل هذا الكلام وإلا فرمتك.

تملكت "شيرين" رغبة في الضحك المتوتر .

– هل تنوي أن تدافع عنها بمفردك مثل الكبار؟ آه ها ! وما رايكم يا أولاد لو عادت "شيرين" إلى الفائز في الشجار؟ كم يسعدني أن ادس اصابعي في شعرها الجميل ولن اقول لك ما سيلي ذلك.. ما رايك؟

كان رد فعل "إيرول" خاطفا حتى إن "شيرين" لم تحس به وهو يندفع من فوق البوفيه ثم يطير نحو الإخوة "ماكني". سقط على اثنين منهم في طريقه واصطدمت ذراعاه برقبتيهما فاطاح بهما إلى الأرض. كان ذلك بمثابة إشارة لبدء المجزرة.

صرخت "شيرين" ووضعت وجهها بين كفيها بينما صراخ الرعب ينطلق من بين شفتيها. اندفع "شانكي" و"ويلبر" و"جوبيتر" بدورهم نحو الثلاثة الباقين من الإخوة "ماكني". صاحت العمة "باتي" :

– إن هذه المعركة تستحق الاحتفال.. إنني اعشق ذلك !

نهض الزبائن وبدءوا اشيئا فشيئا يحيطون بالمتعاركين. انطلقت الشتائم والسباب والقبضات تحطم والاجساد تتدحرج على الأرض. اخذ المتصارعون يتحركون وسط الدائرة التي كونها الزبائن والتي بدات تضيق عليهم. رات "شيرين" على حلبة الرقص "إيرول" وهو يتكوم على نفسه بعد أن تلقى لكمة في المعدة. صاحت :

– "إيرول"!

صرخ فيها وقد انفرد وكأنه زنبرك :

- لا تتدخلي يا "شيرين"!

أطاح أقرب الأعداء منه بلكمة قوية أرسلته إلى السجادة . دفعت العمة "باتي" "شيرين" إلى خلف البوفيه وقالت لها وهي تضحك :

- لا تتحركي من مكانك يا "شيرين". إن الصبيان الصغار يصنعون المعجزات. عمل رائع يا روح "باتي" ! لقد حان الوقت لتأديب هؤلاء الـ"ماكني". إن "إيرول" له عضلات فولاذية وقبضات من المسلح.. لقد كسر أنف أحدهم وسمعت بنفسي صوت تحطم عظمة الأنف.

- وهذا يمتعك يا عمة "باتي" أما أنا فليست لدي أعصاب.. سأستدعي المأمور.

- وما الداعي لذلك؟ لقد التقيت به وأنا قادمة وقال لي بنفسه: إنه يجب إنهاء هذا الموضوع للأبد. بل إنه توقع أن يلقي "إيرول" بنفسه وسط المعمعة وأنه سيمر في المساء ليرى إلى أي مدى وصلت المعركة .

- هل تتحدثين عن المأمور! إنها معركة قانية الدماء! لقد كنت أظن أنه يميل إلى السلام يا إلهي! إن "إيرول" ينزف من كل مكان.. كل الناس في الحقيقة ينزفون...

علقت العمة "باتي" :

- يبدو أن إراقة الدماء من حين لآخر يمكن أن تجعل الحياة تستمر.

كانت عينا العمة "باتي" تلمعان وهي تهز رأسها في جميع الاتجاهات متتبعة القبضات وهي تلكم، وبدت مثل من يشاهد مباراة تنس مهمة وحامية ورأسها يتحرك يمينا ويسارا مع تحرك الكرة. وأخذت تشاهد الضحايا وهم يسقطون في الأركان .

طارت مائدة ثانية في الهواء مع فرقعة عالية وظنت "شيرين" أنها أصيبت بالجنون.

- أيها الأنذال الملاعين.. إنكم ستكسرون كل شيء عندي !

أخذت جثة واحد من "ماكني" تئن فوق المائدة التي أصبحت كومة من الخشب ولحق به اثنان من إخوته في دنيا الأحلام ولم يبق سوى واحد.. ساد الصمت قاعة الملهى وكان صمتا ينذر بالشؤم.

وسط حلبة الرقص كان "إيرول" منطويا على جسده وهو يتنفس بصوت عال وكذلك الأخ الباقي الذي أدار وجهه نحوه دون أن تترك عيناه وجهه. كان زعيم العائلة "ماكني" والذي أهان "شيرين" والذي أقسم "إيرول" أن يسلخ جلده.

كان في يد الآخر "ماكني" في تلك اللحظة سكين تلمع ذات قبضة من العاج مقوسة. تأوهت "شيرين" وهي تتوسل إلى "شانكي" .

- أرجوك يا "شانكي" امنعه.

أجاب الأخير وهو يسقط بجوار البوفيه :

- لا أستطيع أن أفعل شيئا. لقد أحس "إيرول" بالإهانة وهو الوحيد المسؤول عن رد شرفه .

- ولكن ألا ترى أن الآخر أبرز مديته؟

- اطمئني.. إن "إيرول" ليس مبتدئا وسيجتاز الموقف.. هل يمكنني أن أحصل على مشروب ؟

- اخدم نفسك بنفسك.. آه! السكين يا "إيرول"... كن حذرا!

قال "شانكي" بصوت من أوشك أن يفقد وعيه :

- لا تحدثي ضجة يا "شيرين" وإلا لما استطاع "إيرول" أن يركز...

كان الهواء الذي يستنشقه "إيرول" ببطء يحرق رئتيه، وكانت عيناه مركزتين على العملاق الذي يواجهه أكثر من تركيزهما على السكين التي يمسك بها في قبضته. أخذ "إيرول" يقيس منافسه محاولا كسب

الوقت. كان يعرف بالتجربة أن عينيه ستنذرانه قبل ان ينطلق السلاح في الجو بجزء من الثانية. كان العدوان يميلان إلى الأمام ويقتربان من بعضهما بعضا في حركة دائرية وكان السكون مخيما لدرجة تسمع معها دبة النملة.

مرر "إيرول" يده بسرعة على عينيه الغائمتين وعندما سحبها وجدها مغطاة بالدم. كانت إحدى عينيه متورمة وشفته مجروحة ولكن كل ذلك لا يساوي شيئا بالمقارنة بالألم الفظيع الذي كان يحسه في جذعه. من المؤكد أن احدهم كسر له جانبه وعند اقل لكمة في هذا الجنب ستصيبه بالإغماء في الحال.

قال متهكما :

- يبدو أنك لا تتحرك إلا معك البزازة كما أرى. إذا كنت تعتقد أن ذلك يؤثر فانت مخطئ. واعلم ايضا أن اي رجل يستحق أن يسمى رجلا يتعارك دون سلاح ابيض ولكن لما كنت شيئا لا يمكن ان نسميه رجلا.

حبس الحضور انفاسهم. فح الأخ "ماكني".

- ساقتلك ...

قاطعه "شانكي" الذي لايزال مستندا على البوفيه.

- تقتله؟ ولكن هذا لم يرد في البرنامج!

اللعنة ! أين المامور؟

أمرته العمة "باتي".

- اذهب واستدعه وإلا لحدثت حادثة مؤسفة.

اما "شيرين" فكانت في كرب، لأن الرجل الذي تحبه تتعرض حياته للخطر أو الموت. قال "إيرول" يثير "ماكني" وهو يوازن جذعه على ركبتيه المنفرجتين.

- ماذا تنتظر يا "ماكني"؟ هل تخشى أن تجد السكين في بطنك بدلا

مني؟ أنت تعلم ماذا يحدث عندما ينغرس النصل في المعدة.

اندفع "إيرول ساجان" في نفس اللحظة التي شقت السكين الهواء في صفير. وأحس بالألم في اللحظة التي سقط فيها "إيرول" فوق آخر المتعاركين وتدحرجا فوق الأرضية واصطدمت السكين بالأرض.

فوضعت "كارمن" قدمها عليها. وجه "إيرول" لكمة مباغتة وقوية لغريمه المتوحش.

- هذه حتى لا تهين "شيرين".

اصطدمت قبضته بفك "ماكني" الأكبر الذي انهار في مكانه.

لم تعد تسمع سوى حشرجة تنفس المنتصر.

نهض "إيرول" بصعوبة وقد لوثت الدماء ملابسه. فجأة عادت الحياة إلى الحضور الذين أخذوا يصفقون.

اندفعت "شيرين" نحو "إيرول" وعيناها مبللتان بالدموع واوشكت ان تلقي بنفسها عليه لو لا أن انينه جعلها تتراجع.

- "إيرول"! انت تنزف.. قل لي شيئا يا "إيرول"!

قال الجريح بابتسامة مرهقة :

- وداعا !

ثم تكوم على الأرض.

كان "إيرول ساجان" يحس بالموت. كان يحس بالألم في كل مكان ولا يعرف أين هو موجود، كان يعاني ويتعذب لدرجة انه لم يجد فائدة في ان يفتح عينيه قبل أن يسترد روحه.

لم يكن أمامه سوى التاوه من آلامه. هل صدمه قطار؟ ما لم يكن حفار بترول حطم صدره وساقيه؟

- "إيرول"؟

ما هذا؟ هل انفتحت أبواب الفردوس؟ إن القديس بطرس ليس له هذا

الصوت الرخيم. لابد انه صوت ملاك.. إنه ملاك له صوت امراة.

- "إيرول" هل تسمعني؟ اتوسل إليك افتح عينيك.

قال في نفسه: من الواضح انه ليس في الفردوس مادام قد فقد الحركة ما لم يكن الملائكة يخزونه حتى يفيق ويرسلوه إلى الجحيم...

- لقد اعطاك الطبيب مخدرا وقد نمت وقتا طويلا جعلني اقلق. استيقظ لحظة حتى اتاكد من انك بخير ثم عد إلى نومك ثانية.

قال في نفسه: إن هذا الملاك حزين وإنني اتساءل: لماذا؟ إذا كان يسري عنه ان افتح عيني... ولكن مستحيل إن جفني ملتصقان بالغراء...

اخذت الشابة تنشج وتنوح .

- إنه انا "شيرين"! لو استطعت أن تعطيني ولو إشارة.. اوه.. إنني احبك كثيرا. "شيرين"؟ إنها هناك هي ايضا؟ هل هي تحبه؟ يا لها من فكرة غريبة! إن احدا لم يحب "إيرول ساجان" ابدا. ثم من هي "شيرين" هذه ؟ ثم عادت له الذاكرة فجاة اه إنهم هؤلاء المتوحشون الخمسة الإخوة "ماكني".. و"شيروكي" وحب "شيرين"!

إنها تبكي..

- إنه انا يا "إيرول". الا تستطيع أن تفتح عينيك؟

حاول ان تفتح إحدى العينين.. العين السليمة لأن الثانية متورمة.

استطاع - بعد مجهودات غير بشرية - ان يفتح أحد جفنيه. ربتت "شيرين" خده وهمست في اذنه بعض عبارات الحب .

- صباح الخير!

صاحت الشابة وهي تبتسم في جنون :

- اخيرا .

- من.. اين.. ؟

- نحن في يوم الأحد يا "إيرول" وانت نائم من ساعات طويلة. لقد نقلناك إلى المستوصف حيث قام الجراح بتجميع اجزائك. لقد قال : إنك لو ظللت نائما دون حركة فلابد من نقلك إلى المستشفى في "جاسبر". انت في بيتي وفي سريري. كان من الواجب علي ان اتركك ترتاح ولكني قلقة للغاية... والآن يمكنك أن تعود إلى النوم ثانية.

- اووه! أريد أن أشرب!

- حالا.. هيا.. هاك! هذا هو الشراب ولكن اشرب برقة وبطء.

ابتلع "إيرول" كل الماء الموجود في الكوب الذي قدمته ملاك الرحمة الحارسة. وعندما وضعت راسه مرة ثانية بين الوسائد في رقة شديدة رفع يده ببطء وضغط على خديه حيث نزف الدم بغزارة واحس بالم شديد. سالها:

- ماذا اعطاني الطبيب ؟

- اعطاك مهدئا قويا.. لست اعرف ما هو. لقد تطبق جانب من جانبيك وهناك كدمات زرقاء في كل مكان من جسدك يا "إيرول".. لقد نزفت الكثير من الدماء.. ثم تلك السكين.. اوه.. إنني.

اخذ يتحسس بحثا عن يد الشابة دون جدوى .

- لقد انتهى الأمر. إنني احس أن الغيام بدا ينقشع عن عيني وتلك الحقنة اصابتني بضرر اكثر مما سببه لي هؤلاء الوحوش.

- يا له من شجار.. اليس كذلك؟

تخشب جسم "شيرين" فوق مقعدها :

- لقد كنا وحوشا.. اليس هذا صحيحا؟

استغرب ب "إيرول" من لهجتها وقد انتصبت الشابة في ثورة وواجهته وهي تحدجه بنظرات نارية ثم صاحت :

- الا تشعر بالخجل ؟ كيف يمكنك أن تمزح حول ما جرى؟ وانا التي

فقدت دمي وانا احاول ان اوقظك! لست سوى صبي يا "إيرول".. صبي في جسم رجل بالغ. اتمنى لك ان تتعذب مثلما تعذبت انا.

- ما الذي جرى لك؟ لقد كنت رقيقة حانية وهانت في لحظة واحدة اصبحت كالجنية الا تحنين على فارسك المنقذ يا اميرتي الجميلة؟ انا الذي اعتقدت أن ملاكا هو الذي يحدثني والذي اعادني إلى الحياة. وبمناسبة الحياة ماذا لدينا في قائمة الطعام؟

- لا هم لك سوى معدتك. اه لو كان بمقدوري لخنقتك. فكر ولو لحظات في العذاب الذي واجهته! إنني لم ار في حياتي مثل هذا القدر من الدماء السائلة. ثم إنني اعتقدت انك مت. إنك لم تعد تتحرك...

عند هذا الاعتراف لمعت الدموع في ماقيها ثم انسابت على خديها والتي استمرت في الحديث بصوت يقطعه النشيج :

- لقد اعتقدت انك مت وانني لن استطيع ابدا أن اقول لك: إنني احبك. لقد شعرت بقلبي يتحطم عندما فكرت أنني لن أحس بعد ذلك بقربك وبوجودك.. ثم اللعنة على كل شيء وعليك بصفة خاصة.. إنني اكرهك.

- "شيرين"! اي!

سقطت ذراعه تحت تاثير الالم بجواره وهو يتاوه ثم اغلق عينيه. إنه لم يعد يفهم شيئا عندما أحس بالسعادة لأنه حصل على حب "شيرين" اكفهر وجهها وانطلقت في لعنه وسبه. هذه هي عواقب العواطف المعقدة غير المفهومة والتي تزعجه وقد ظهرت على السطح. إن عقله المسكين لم يعد قادرا على التفكير المنطقي.. اطلق "إيرول" إذن تاوهات رهيبة ثم غرق في النوم.

جلست "شيرين" وسط مربع النجيل الذي يشيع البهجة في فناء العمارة واسندت ظهرها على جذع شجرة وقد عقدت ذراعيها على

صدرها وهي تتميز من الغضب والغيظ. إن الحب والكراهية يتصارعان داخل قلبها وروحها. صاحت في ثورة :

- ساشحنه في حافلة "جاسبار" واودعه! ولكن هذا غباء لانني لا استطيع الاستغناء عنه.. ثم لم لا.. لتذهب إلى الجحيم ولترحل إلى غير رجعة يا سيد "ساجان".

اثناء هذه الأفكار السوداء شاهدت "شيرين" العمة "باتي" وهي تخرج من الباب الخلفي للعمارة، جلست السيدة العجوز بجوار الشابة واسندت ظهرها على نفس الشجرة.

- لقد تركت باب الشقة مفتوحا يا صغيرتي. لذلك وضعت هناك طعام العشاء الذي اعددته من اجل "إيرول" ومن اجلك. لقد قلت لنفسي: إنه لن تواتيك الشجاعة لتطهي. اتعرفين ان شكلك لا يعجبني ؟

لقد تسللت إلى الحجرة وصدقيني إنه ينام مثل الطفل السعيد .

- إنك لن تصدقيني يا عمتي "باتي" ولكن هذا الطفل السعيد و البريء الذي تتحدثين عنه يعتبر ذلك الشجار المتوحش بمثابة لحظات اسعدته.

- يا له من إحساس.. لا تقولي لي هذا؟ إننا سنتحدث عن ذلك الشجار وقتا طويلا وسنتذكره في "شيروكي" اما بالنسبة لآل "ماكني" فإنني اراهنك بكل مدخراتي انهم لن يظهروا في الجوار. لقد تصرف هؤلاء الصغار بطريقة رائعة إنني فخور بهم جميعا.

- إنك لن تشتركي في المتعة ايضا يا عمتي؟ هل نسيت السكين والدماء المسكوبة...

اخذت الشابة تنتحب بينما ربتت العمة "باتي" كتفيها في حنان :

- اعرف انك ستجدين صعوبة حتى تفيقي من الصدمة يا صغيرتي. لقد اجتاحني شعور أن "إيرول" سيسلم الروح وهذا يجعلني أحس بالبرودة في اطرافي. ولكنني اشك كثيرا في ان ذلك المشهد قد اثر فيه

كثيرا وإنما اثر فيك انت بدرجة رهيبة وبدا مدى حبك له!

قالت "شيرين" في استياء وعناد :

- انا لا احبه .

- بل تحبينه .

زفرت الشابة :

- فعلا انا احبه. إنني نادمة على ذلك ولكن ما باليد حيلة. إنني كعادتي دائما في بؤس وشقاء والله وحده يعلم كيف وصل بي الحال إلى ذلك. إنني مرتبطة بدرجة رهيبة بذلك الرجل الذي لا يحبني.. رجل سيرحل قريبا لا محالة. إنه جنون.. اليس كذلك؟

- آه ها !

- ماذا تريدين أن تقولي يا عمتي "باتي"؟ اشرحي لي. وبالمناسبة هل يمكن أن تتفضلي وتخبريني عما تدبرينه مع "إيرول" ؟

- لا تحاولي.

- احسن! لانه يجب عليك أن تتصوري أن هذا الأمر لا يهمني وانني اسخر منه.

- ارى انك تتململين كقط على سطح من الصفيح الساخن. حسنا.. اسمحي لي أن اقص عليك حكاية ستجعلك ترتاحين. بعد ما حدث مساء امس لم تتمكني من غلق "ميراج". وحدث أن "شانكي" و"ويلبر" و"جوبيتر" وكذلك دستة من الزبائن يقومون حاليا بتنظيف المكان وإصلاح الخسائر و"جوبيتر" يتصرف كزعيم فيما يتعلق باعمال النجارة. لقد قرر أن يبدل الموائد المحطمة. اما بالنسبة للآخرين فقد قاموا بكنس ومسح وتلميع وتطهير المكان. وسيسلمونك القاعة جديدة. لا يمكن لاحد أن يقول بعد ذلك: إن المكان كان موقع معركة ضارية لم يسبق أن وقعت مثلها في "شيروكي" من قبل وتصارعت فيها "شيروكي"

ضد "جاسبر".

همهمت "شيرين" التي اثرت فيها تلك الحركة:

- كم هم لطاف !

- لقد سالوا على "إيرول" وزاد قلقهم عليه لدرجة انني وعدتهم أن أمر عليك لأطمئن على اخباره، إنهم يعزون ابطالهم كما تعلمين. هل هو بخير؟

- اعتقد انه بخير. إنه يدعي انه لايزال يعاني بسبب الحقنة أكثر من اي شيء آخر.

- آه..! إنه يعرف كيف يصارع. ياله من رجل! له قلب رقيق وهو من الأمور نادرة الحدوث. وواضح انه لم يضحك كثيرا في حياته ويمكن أن يلاحظ عليه انه يفتقد العاطفة. ولكني أسال نفسي: لماذا أتخيل هذه الأمور عنه؟ واعلمي أن السيدات العجائز يملن إلى التأثر للاشيء خاصة على اشخاص لا يستحقون الشفقة.

باختصار إن ما أريدك أن تفهميه، هو ان له قيمة اكبر بكثير مما تعتقدين. كوني صبورا يا "شيرين" معه. ولا تكوني ايضا قاسية على نفسك. انت عاشقة وإذا تقبلت رايي المتواضع فانت اخترت رجلا مبهرا كالرعد .

تاوهت الشابة :

- وهذا لا يمنع انه سيرحل قريبا . عندما يستعيد هيئته ويتسلم امتعته ويستبين بوضوح ما أوحي إليه من مشاعر، فسيستقل السيارة ويرحل.

اضافت العمة "باتي" في رصانة وهي تنهض :

- من يعرف ما يخبئه لنا الغد؟ في رايي لابد أن تنالي قسطا من الراحة فإن الراحة ستعيد لك قواك وهدوء أعصابك.

- شكرا جزيلا بالنسبة للمؤن. واخبري "شانكي" والآخرين انني شاكرة لهم بلا حدود في إعادة الملهى إلى حالته.

- لن انسى ذلك. إلى اللقاء فيما بعد يا "شيرين".

- إلى اللقاء يا عمتي "باتي".

ابتعدت السيدة العجوز وأسندت "شيرين" ظهرها مرة ثانية على جذع الشجرة وهي تطلق زفرة تعب. لقد كانت منهكة القوى ليلة بعد أخرى وهي ساهرة على "إيرول" لدرجة انهكت اعصابها. قررت إذن ان تدخل لتستريح.

وجدت نفسها عند طرف سرير "إيرول" الذي كان نائما عليه. لم يكن تبدو عليه الصحة وقد نما شعر ذقنه وظهرت هالات سوداء حول عينيه ودون ان تهتم بخلع ملابسها وتبديلها نامت عند قدميه في نعاس شاف معاف .

###

حرك "إيرول" أصابع قدميه وكف عن التاوه وفتح عينيه باعتباره مقاتلا لا يشق له غبار. كانت الشمس تغرب وهي ترسل آخر اشعتها إلى داخل الغرفة. لقد نام إذن طوال فترة ما بعد الظهر. أحس فوق يده يدا أخرى خفيفة ورقيقة. ادار رأسه دون أن يشعر بالم ورأى "شيرين" ممددة عند قدميه.. يا إلهي! كم هي فاتنة.

كان شعرها الذهبي الحريري منثورا على الفراش حول رأسها، وقد انفرجت شفتاها قليلا وهي تتنفس ويتصاعد صدرها ثم يهبط في حركة منتظمة. إن المرأة التي باحت له بحبها ترتاح.

لسوء الحظ فإن "إيرول" لا يعرف ان يقابل هذا الحب بمثله بسبب قلة خبرته. هل هذا مسؤوليته ؟ إنه غامض. طبعا في بعض لحظات الانفعال العاطفي صرحت له بعض النساء بحبهن. ولم يكن يعير

اعترافهن اي انتباه لانه يعرف ممن ياتي ذلك الاعتراف. ولكن هذه المرة الامر يختلف. إن "شيرين" ليست من النوع الذي يحب اي شخص كان.

وجد "إيرول" نفسه ممزقا في اعماق اعماق نفسه من شخصيته الخشنة. إن البهجة والخوف يصيبانه بالجنون على حد سواء. إنه يجد نفسه يتارجح وسط المسافة بين السماء والأرض. بين التوجس والرغبة. لو اراد ان يبقى تجتاحه في نفس الوقت الرغبة في الفرار، واحيانا تجتاحه الرغبة في رفض الهدية التي تقدم له خوفا من عدم معرفته رد الفعل الذي ستحدثه لو قبلها. ومع ذلك استطاعت "شيرين" بمرور الأيام ان تضع الكلمات التي تصف ما يعذبه. من الواضح انه يسيطر جيدا على عواطفه. ولكن لابد ان يقرر لانه لم يصبح الوحيد في هذه القضية التي تحتاج إلى قرار مشترك: إن "شيرين" تنتظر الرد!

هل احست الجميلة النائمة بجواره، مع نفسه ؟

استمرت في الطرف برموشها إلى أن فتحت عينيها الجميلتين اخيرا.

احس "إيرول" وكان نسيما منعشا مر على وجهه عندما همست:

- مساء الخير !

- هل نمت جيدا ؟

- نعم شكرا. كيف تشعر الآن يا "إيرول" ؟

- لقد استعدت كل أجزائي!

قالت وهي تبتسم :

- إنني لا اصدقك.. يا إلهي! كم النعاس مفيد !

- الحق معك. بعد تلك الأمسية التي قضيتها لن أستطيع أن اضحك مما حدث .

- وانا يجب علي أن اجعلك تنسى القلق والهواجس التي انتابتك. لقد عاش كلانا وضعا لم نتعوده.

مرر اصابعه في شعره الكثيف وقال :

– "شيرين"! هل قلت لي: إنك تحبينني؟ هل تؤمنين بذلك فعلا؟

وما فائدة التظاهر بالعكس؟ إنها تنهار عندما يلمسها وترتجف من العاطفة. سألها:

– وما هو ردك ؟

– نعم يا "إيرول" إنني احبك. واقسم لك: إنني لم اكن اقصد ذلك، ولكن الأمر هبط علي كالصاعقة هكذا رغم انني اعرف تمام المعرفة ان ذلك لن يمنعك من الرحيل. نعم احبك يا "إيرول" بكل كياني.

احس "إيرول" بغصة في حلقه تخنقه إنه امر لا يصدق ولكنه حقيقي! لقد احس بالدموع تصعد لعينيه. تذكر اليوم الذي فيه هجرته امه وهو اليوم الذي خنقه فيه الياس المختلط بالحب والغضب. من الغريب ان جعلته هذه الذكرى سعيدا.. إنه يتمنى ان يحمي "شيرين" ويرغب في الا يتركها ويرحل. قال بصوت مخنوق :

– ما الذي اجيب به ؟

– إنني لا انتظر منك اي رد. إن علي ان اصارع عواطفي بنفسي. إنني لا ارغب أن افرض عواطفي عليك ولا احب أن اجعلك تشعر بالذنب. ولو كان الأمر بيدي لمحوت كل هذه الكلمات التي نطقتها لتوي.

– ليس المطلوب هو المحو وإنما التفسير. لم يحدث ابدا في حياتي ان قلق احد علي ولا احبني احد.

– "إيرول" ؟

– لست ادري يا "شيرين".. لست ادري كيف ادع نفسي احب في حرية.. إنني لا اعرف كيف احب ولا ماذا افعل او اقول. إنني اجهل الكلمات التي يمكن أن تحدد بوضوح ما اشعر به. وبسبب عدم الفهم فإن ذلك يجعلني افهم بعد فوات الأوان.. هل فهمت؟

– نعم .

– إنني لا اريد ان اعذبك يا "شيرين" ولا ان اجرحك بالطريقة التي اجيدها. لان جزءا مني عبارة عن عدم إحساس. مجرد كتلة من الزجاج او الثلج. اليس من الأفضل إذن ان ارحل؟

– لا!

– هل انت متاكدة؟

– نعم.. انا متاكدة من ذلك، ولكني افضل لو غيرنا موضوع الحديث. لقد اعدت لنا العمة "باتي" العشاء. هل تحب ان احضره لك على السرير؟

– سانهض واخذ دشا .

– إنك لن تبلل على اية حال الضمادات وخياطة الجروح! إن ذلك عمل متهور غير رشيد. اشطف وجهك فقط.. اسمع هذا.. إن "شانكي" والرجال يقومون الآن بإصلاح الخسائر في الملهى.

– إن هذا عمل لطيف من جانبهم. ما مدى الخسائر والتحطيم؟ إنهم اشخاص مهذبون اهل "شيروكي" هؤلاء! إنني لم التق إلا برجال مميزين وهم من النوع الذي يعطيك حقك من التقدير.

– إن إصبعي الخنصر يقول لي: إنهم يحملونك على الأعناق يا "إيرول". ولابد ان العمة "باتي" اخبرتهم الآن بانك تعافيت.

– هل تظنين حقا انهم يهتمون؟

ظهرت ابتسامة كلها فخر وزهو على شفتي "شيرين" :

– مدهش.. اليس كذلك؟ إن المدينة كلها في قلق بالغ على صحتك.

– إنني اتساءل: لماذا؟ إنهم لا يعرفونني!

– بل يعرفونك بالتاكيد. إنني اتساءل في اعماقي: انت الوحيد الذي لا تعرف نفسك؟

– هيا.. لا داعي للمبالغة يا "شيرين".

- فكر في الموضوع.

قفزت الشابة بعد عبارتها الأخيرة خارج السرير:

- هل تحب أن أساعدك على النهوض؟

- وهل ستتحملين ثقل جسدي أيتها الجميلة؟

- اه ها : لا داعي للتهكم ثم إنني هنا لست سوى الممرضة.. والممرضة ليس عندها اي تحيز .

- تعالي هنا ايتها الآنسة بدون تحيز.

قالت له وقلبها يدق بشدة :

- لا. إن الطبيب يلزمك بالراحة.

- ولكن الراحة الكبرى بجوارك واقسم لك إنني لن اتكلم او افعل اي شيء.

احست "شيرين" بعاطفة الحب تجتاحها وتحرقها.

- ولكن هذا لن يمنعك من التاوه حتى تنال ما تريد.

سرعان ما تغلب العقل على العاطفة وتاملت حبيبها مباشرة في عينيه ثم نهضت و توجهت إلى المطبخ .

اخذ "إيرول" يسب ويلعن :

- فلتذهب إلى الجحيم نصائح الطبيب.

سمعها تقول وهي على عتبة الباب :

- ساذهب لأرى ماذا اعدته لنا العمة "باتي"..

القى براسه على الوسائد مرة ثانية وابتسامة السعادة على شفتيه .

الفصل الثامن

اكتشفت "شيرين" في الثلاجة الكهربائية دجاجة مقلية بالبقسماط وسلطانية ضخمة من سلطة الفواكه. اما السلة الموجودة على المائدة فقد ملأتها السيدة العجوز بالفواكه والبسكويت. ولم يبق سوى إعداد القهوة وان تعد المائدة لشخصين لانها كانت مقتنعة بان "إيرول" لن يكتفي بتناول الطعام وهو واقف .

قال "إيرول" وهو يدلف إلى المطبخ الامر الذي جعل "شيرين" تقفز فزعة:

- انا جائع! واعذريني لانني لم اكن انوي ان اسبب لك الخوف.

هو. لا. لا ! يا لها من وليمة.. إن العمة "باتي" ملاك!

- فعلا.. وانت كيف حالك؟

- لا باس. إنني أحس بالالم في كل مكان ولكنها الام سطحية. اما الاعضاء فهي في حالة سليمة وتعمل بكفاءة .

همهمت "شيرين" وهي تستدير لتصب القهوة في فنجانين من الصيني:

- حسنا.. حسنا.

رغم إصاباته وكدماته الزرقاء التي تغطي كل جسمه وملابسه المهلهلة فهو يرتدي قميصا مفتوح الازرار و"شورت" من تيل الجينز حائل اللون، وحذاء تنس مفكوك الاربطة ومع كل ذلك فقد شعت منه رجولة وحشية افقدت "شيرين" صوابها.

قالت له بود وهي مسيطرة تماما على نفسها:

- اجلس !

- لقد حالفني الحظ فالسكين انغرست إلى قرب الحجاب الحاجز ومع ذلك فإنني شفيت تماما. اليس هذا خبرا سارا؟ وبمناسبة الأخبار ما اخبار "شانكي" وإخوته؟

- بخير عدا بعض الخدوش وعيني "بيتر" المتورمتين. وبالمناسبة لم اقص عليك نهاية المعركة: انتهى الأمر بظهور "هاري" مامور الشرطة وهو الذي نقلك إلى المستوصف في سيارته الجيب ووصل إلى حد تهديد الإخوة "ماكني" بالقبض عليهم في المرة القادمة التي يراهم في "شيروكي".

- لعبة ممتازة يا "هاري"! وماذا عن "باري".

- ليست لدي ادنى فكرة. وهذا ما يقلقني.. إنني أحب لو اتصل بي.

- لابد انه مشغول بالحمل الصعب الذي تعانيه زوجته. لو كنت في مكانه لاصبت بالجنون وانا انتظر ان تخرج الزوجة والطفل سالمين. هل له عائلة ؟

- نعم ولكنهم في الشرق.. ليس لهم اي شخص هنا في "شيروكي".

- وهذا اسوا ! ما رايك في ان نذهب لنرفع من روحهما المعنوية في

يوم من الأيام؟

- إن الطريق إلى "جاسبر" هو تعذيب حقيقي ولكني موافقة. بشرط الا يتم هذا حالا لانه لابد من الانتظار حتى تشفى.

- وحتى يتم ذلك لابد ان "باري" سيتصل بنا.

- اتعشم ذلك.

للمرة الثانية دهشت "شيرين" من فراسة رفيقها وبعد نظره. إنه يدعي انه لا يعرف كيف يحب وانه لم يتلق اي تدليل في حياته ولكن ها هي تراه بدلا من ان يهجم على الطعام بشراهة يقلق على مصير "باري" الذي لا يكاد يعرفه فعلا. لماذا لا يريد ان يرى نفسه بوضوح ؟

هاجما ما اعدته العمة "باتي" بكل همة ونشاط وبعد فترة بدا "إيرول" الحديث:

- اتقولين مدعية: إن الوحيد الذي لا يعرف نفسه هو انا؟

- وماذا في ذلك ؟

- إنني لا اهضم هذا الكلام. إنني اعرف تماما من انا.. هل يمكنك ان تتصوري ذلك؟ لقد عشت حتى الآن حياة بسيطة وامينة ودون تعقيدات، ومنذ عرفتك فإن الامور تسير على خير ما يرام وبشكل مؤكد، وإن تعقدت وغمضت بعض الشيء ولكن ليس معنى هذا انني لا اعرف نفسي.

- حسنا.. موافقة والامر لا يستحق ان تضخمه هكذا.

- لست ادري إن كنت تدركين الامر ولكن من يسمعك يظن انني مجنون وابله.

- لا على الإطلاق! إنك تفسر الأمور على مزاجك.

- إنني اردت ببساطة ان اكشف سياستك التي تشبه النعامة التي تدس راسها في الرمال.. اوه! ولكني لا ارغب في الشجار معك يا

"إيرول"!

– إذن ماذا ترغبين؟

– سلطة الفواكه يا سيد متسلط .

– لست انا الذي اثرت الموضوع هذه المرة.

– أريد ايضا في نفس الوقت ان تتعلم ان تدع نفسك تحب. بعد ذلك تستبين ما تحسه نحو الآخرين من مشاعر. واخيرا...

قطعت "شيرين" حديثها وقد بدا القلق على وجهها. وضعت كوعها على المائدة وضغطت بيدها على جبينها ثم قالت:

– انس ما قلته لتوي.. إنني لا اعرف ماذا الم بي، لابد انني عصبية. حسنا! سانظف المطبخ ثم انقع نفسي في بانيو الحمام بالرغاوى، واتعشم الا تكون قد استخدمت ما بقي عندي من ملح الرغاوى "ليلة مدللة" .

نهضت وحملت طبقها إلى حوض المطبخ. وبعد ثلاث ثوان كان "إيرول" في اعقابها. رغم ما ناله من راحة من النوم إلا ان وجوده بالقرب منها اشعرها بالتعب. وقال لها معترفا :

– ما الذي افعله يا "شيرين"؟ لقد طلب مني "كاستور" ان امر والقي نظرة على اخته لا ان افرض نفسي على وجودك واجعلك حزينة. ليس من حقي ذلك. إنني اشعر بالذنب ليس بالطبع لما حدث بيننا ولكن لانني ادركت أن عينيك لم تعودا تلمعان سعادة، وانك فقدت ابتسامتك الحلوة، واقول لنفسي: انا لست سوى إنسان مخرب.. إنني لا اعرف سوى إفساد الحب يا "شيرين" .

– لا.. لا..

– بل نعم.. نعم.. إنه تخصصي الذي برعت فيه إنني لا اجد لذلك اي تفسير. وقد مرت امي بهذه الرحلة وكذلك ابي...

استدارت "شيرين" لتواجهه وقالت له بقوة :

– لست مثل ابيك وامك. لست مثل والديك هل تعتقد ان يحدث لك حادثة لو انك لم تنطبق عليك شروط اختياري وانني قد لا احبك في الغد؟

يا إلهي! يا "إيرول"! كيف اقنعك بانك تخترع افكارك؟ إنني احبك وساحبك للابد. الا يمكن ان تصدقني هذه المرة؟

اخذ "ساجان" يفحص وجه الشابة فيما بدا له دهرا .

كان يحاول ان يعثر على إجابة لشكوكه. ادركت "شيرين" ان فكيه توترا بينما لمع وميض الغضب داخل عينيه، ثم انقلب الغضب دون سابق إنذار إلى حزن لا علاج له والم عميق. لم تجد "شيرين" امامها سوى ان تتوسل إليه في داخلها ان يصدقها ويؤمن بحبها. لان الكلمات اصبحت من الآن لا فائدة لها.

فرد "إيرول" كتفيه اخيرا وخطا خطوة للخلف وفرض على كليهما مسافة احست هي انها غير قادرة على عبورها. قالت في تلعثم:

– لست من القوة حتى استطيع ان اطرد اشباح الماضي، بل إنني اساسا لا اعرف كيف اطردها. إنني لا استطيع سوى ان اتوسل إليك الا تجعلنا ندفع ثمن ما فعلوه فيك سابقا .

خطا خطوة ثانية للخلف وعيناه بدتا وكان الياس التهمهما، وسقط قناع لا يمكن اختراقه على وجهه، ثم راته "شيرين" يبتعد عنها. قال لها بصوت خال من التعبير :

– ساخرج ولا تنتظريني حتى اعود لتنامي .

احتجت المراة بضعف :

– من المفروض ان تتمدد يا "إيرول".. إنك لازلت ضعيفا.. "إيرول"!

ولكن فات الأوان. كان الباب قد انغلق وراءه.

رفعت "شيرين" اصابعها إلى فمها حيث تصاعدت شهقاتها.. ما فائدة ان تناديه من جديد؟ كانت عيناها غائمتين حتى اوشكت ان تطيح

بإصيص او اثنين في طريقها، ولكنها استطاعت على اية حال الوصول إلى الاريكة حيث انهارت فوقها.

استسلمت للصور القريبة التي توالت أمام مخيلتها وكانها فيلم حزين تراه امام عينيها.

رات "إيرول" وهو صبي صغير يمد ذراعه لرجل وامراة بلا وجهين. إنه يناديهما ولا يخرج أي صوت من بين شفتيه ويبتعدان بعد ذلك ليختفيا وسط العتمة .

راته وهو بالغ رشيد يسير بثقة فوق طريق ضيق وقد رفع ذقنه عاليا. وعندما ظهرت له "شيرين" وقف وابتسامة تعلو شفتيه وتتوجهما.

اشارت إليه واستانف سيره... نحوها.. ولكن بعد أن استدار استمر في طريقه وحجب الضباب صورته عنها.

كانت هذه الصورة المفجعة قد آلمت الشابة كثيرا واحتجت في نفسها وهي تنهض .

- لا.. إن هذا ظلم.. ليس من المعقول أن تدفع ثمن ما ارتكبه الآخرون من اخطاء إلى ما لا نهاية.. لقد لعب والداه معه دورا قذرا والآن هو يستحق السعادة.

مادام "إيرول" قد ساعدها على أن تستعيد شعورها بقيمتها كامراة فلابد أن تجد أي وسيلة لتجعله سعيدا ولأن تحتفظ به.

استردت رباطة جاشها وقررت الانتظار.. انتظار "إيرول" حتى يعود إلى البيت.

***

كان "إيرول ساجان" يسير سيرا بطيئا إلى الاتجاه الذي تحمله إليه قدماه: أحاط به الليل بالتدريج بوشاح الأسى. وإذا كان يشعر بألم في جانبه فإنه لم يهتم به على الإطلاق.

إن "إيرول ساجان" وحيد ويشعر بانه خاو وفارغ ولا يريد أن يقابل

احدا وهذا الإحساس يرعبه.. لقد تجنب الطريق العمومي.. سرعان ما اصبحت "شيروكي" بعيدة عنه وفي راس ذلك الجوال الوحيد تتفاعل أصوات مختلفة لدرجة رهيبة.. أصوات لا يعرف لها معنى.

وفي لحظة اندفع وراء نزوة غير مفهومة وغير اتجاهه وراى نفسه يتسلق التل الذي انتشرت عليه اشعة القمر الفضية. عندما وصل القمة، القى بنفسه وسط الزهور واطلق زفرة طويلة. مد ذراعيه.. كانت النجوم تلمع في السماء كاللآلئ فوق صفحة من القطيفة السوداء..

اخذت العصافير تغرد ألحانا حزينة تثير الشجن بدا وكان الطبيعة فتحت له صدرها لتدافع عن حبيبته. أحس في داخله برغبة عارمة أن يتملكها وأن يحتفظ بها للأبد. سيطر صوت على جميع الأصوات شيئا فشيئا. صوت تغلب على الأصوات التي تنادي بالحذر والحيطة والتراجع.

وكان اسم هذا الصوت "الحب والثقة والسعادة"

كان "إيرول" مذهولا مما يحدث له وبداخله. انتصب واستند نفسه على كوعه وقد بدا مثل الحالم الذي يستيقظ من كابوس وقد اهتز من الرجفة التي اجتاحته. صاح:

- يا إلهي! ولكني احبها! إنني احبها لدرجة الهلاك "شيرين" حبيبتي التي لي!

استغرق وقتا طويلا وهو يلوك- بتلذذ- اسمها بين شفتيه، وأخذت الجبال تردد صدى اسمها عن بعد- الذي عذبه.. هذا الاسم اللذيذ الذي ينتهي إلى النجوم وبريقها.

رقد "إيرول" في نفس المكان الذي شهد أول اعتراف لها بحبه وقاوم هو اعترافه بحب "شيرين كول" .

***

اشرقت الشمس قبل أن تستيقظ "شيرين"، وكانها تغير موعد

شروقها. حاولت المستحيل لتستيقظ. عندما فتحت عينيها، أحست الشابة بالتشتت وعدم التركيز. أخذت تضرب الهواء بذراعيها ونهضت بصعوبة واكتشفت أنها كانت ممددة فوق سريرها الذي لم تنم عليه منذ وصول الغريب "هاوي" البانيو، ووجدت أنها كاملة الملابس ووجدت حذاءها فوق الوسادة.

تساءلت وهي تدعك عينيها: "وأين نام "إيرول"؟ لقد كان الجزء المجاور لها في السرير خاليا ومرتبا.

كانت "شيرين" قد تعبت من الانتظار فوجدت طريقها إلى حجرتها دون أن تدري ولكنه لن يصدق أنها فعلت ذلك غير متعمدة.

تخبطت في سيرها إلى أن وصلت إلى حجرة المعيشة، وتلصصت خلال ستارة النباتات، وفحصت فوق الأريكة ولكن لا يوجد أحد.

أين ذهب؟ لقد أعلن أنه سيخرج ولكن لما كان جريحا فإنه في حاجة إلى النقاهة واستعادة عافيته، وظنت "شيرين" أنه سيعود سريعا ليتمدد وسط الدفء.

همست في نفسها :

- ربما هجرني للأبد.. لا إنه ليس بالقسوة بحيث يتصرف هكذا.. لنذهب لفحص الطرقة والدهليز..

إنه حتى لم يكن موجودا في الفناء. صعدت "شيرين" مرة أخرى إلى شقتها وهي يائسة. وخلعت ملابسها قطعة قطعة وتركتها في طريقها إلى الحمام كي تأخذ دشا. غسلت رأسها ثم تركت المياه الساخنة تنهمر على جسدها المتوتر من القلق. فبدونه ستكون حياتها خاوية، إنها هي نفسها بدونه ستتحول إلى عروسة من القطيفة بلا حياة ولا حرارة.

تصورته راقدا في حفرة وقد صرعته اللكمات. ربما من بعض قطاع الطريق. إنه سيفقد دمه وتتفتح جراحه مرة أخرى. تصورت نفسها وهي تفتش عنه المنطقة بإبرة. وإذا عثرت عليه فستأخذه بين ذراعيها

ولن تسمح له أبدا بالرحيل وهجرها.

فتحت باب الحمام وتحجرت في مكانها مذهولة. رأته على عتبة باب حجرتها وفي يده باقة من الزهور البرية. كان "إيرول" في انتظارها!

كان شعره وكأنه خرج لتوه من معركة، وذقنه أسود وقميصه لايزال مفتوح الأزرار وقد تكرمش تماما. أما جفناه وشفتاه فقد تورمت وحملت ألوانا متعددة منها الأصفر والأزرق والبنفسجي. باختصار رأت "شيرين" أمامها رجلا يحتاج إلى كل الحنان والشفقة. إنه أحب ما تود أن تراه في تلك اللحظة في العالم.

- "إيرول"!

تقدم ثم وقف في منتصف الطريق.

- أنا.. هاك! هذه من أجلك. لقد قطفتها من فوق التل في نفس المكان الذي حلمنا فيه بتنصيبك أميرة التل.

قالت بطريقة خرقاء ساذجة :

- شكرا!

هي التي أقسمت أن تشعل النار في القارة لتعثر عليه ثم تأسره بين ذراعيها ولا تدعه يفلت منها من جديد.. واقفة الآن تنتظر!

- سامحيني إذا كنت قد سببت لك القلق لأنني قضيت الليلة في الخارج. لم تكن هذه نيتي ولكن عندما وصلت إلى تلنا.. تل حبنا.. كنت منهكا خائر القوى. لقد نعست وعندما استيقظت لم أستطع أن أصدق عيني ولكني أخذت أثرثر وأثرثر..

- نعم.. حقا!

- أنا..

مرر يده في شعره ثم وضع الزهور فوق المقعد ثم سلك حلقه وبدأ الحديث بنبرة نشيطة:

- لقد أدركت يا "شيرين" أن حضوري إلى "شيروكي" قد قلب وجودك

راسا على عقب.. لا تدهشي فقد حدث نفس الشيء بالنسبة لحياتي.

- عفوا؟

- لا.. لا.. لست غاضبا.. لقد حدث لي ذلك بالفعل ولكنه مر بسلام. لقد كنت في حالة تساؤل مستمر، وكان خوفي الوحيد هو أن أجعلك تتعذبين. والله وحده يعلم انني كنت اتجنب ذلك.

- أعرف ذلك تماما يا "إيرول".

- وفجاة مساء أمس وأنا على تل حبنا اتضحت لي الرؤية وعثرت على نفسي.

توقف عن الحديث فترة حتى يبتلع ريقه وكانت جبهته مبللة بالعرق وعندما استانف الحديث كانت نبرته متحشرجة:

- "شيرين"! أنا أحبك.. أحبك لدرجة الجنون واعتقد الآن انني أومن بالحب الذي تعطيني إياه.

لقد قررت نسيان الماضي وأن أنظر إلى طريق المستقبل.. و.. ولكن اللعنة! قولي شيئا!

لم تستطع "شيرين" أن تمنع نفسها من الابتسام، وفي نفس الوقت لم تستطع أن تمنع دموعها من السقوط. فتقدمت نحوه وأحست بحرارة جسده القوي، ورائحته التي هي مزيج من عبير زهور الغابة والحشائش، التي سحقها بجسده وهو نائم، والهواء النقي. اعتقدت أن قلبها المسكين سيتفجر وهي تراه في شدة القلق.

- إنني لم أسمع في حياتي مثل هذه الكلمات الجميلة يا "إيرول". وأنا كذلك أحبك بقوة لدرجة رهيبة نظير الهدية التي منحتها إياي.. أجمل هدية قدمها لي أحد في حياتي.

قال وهو يزفر في ارتياح:

- أووه! حمدا لله!

- كن حذرا في انفعالك يا عزيزي وانتبه إلى جراحك...

- صه!

أحست "شيرين" في تلك اللحظة أن العاطفة التي برزت في عينيه وهو ينظر إلى أعماق عينيها سترتبطهما للأبد. كانت تحس أن قلبها في عيد.

أدركت أنه يحبها بحرارة. كانت تردد بلا تعب ولا ملل:

- إنه يحبني! إنه يحبني.. لقد انتصر حبنا وسنظل معا للأبد.

ظل هو أيضا يردد:

- امنحيني حبك يا "شيرين".. أنا أحبك بعنف.

- نعم إنني أمنحك حبي يا "إيرول" وبقوة.

غرقا في متاهة الحب ونسيا كل ما حولهما ونسي هو عذاباته في الماضي ونسيت هي عذابها في حبه والقلق من رحيله.

شيئا فشيئا عاد الهدوء إلى العاشقين. قال:

- "شيرين"؟

- نعم؟

- لقد اكتشفت عالما جديدا وأنا أتعمق في عينيك.

- وأنا يا عزيزي في منتهى السعادة.. لقد كنت أشعر بالخوف من أن أفقدك... والآن لدينا كل ما يلزمنا بما فيه وعلى الخصوص المستقبل. ولكن يا "إيرول" ألازلت تعاني جراحك؟ لقد حذرنا الجراح من الانفعال الشديد أثناء فترة النقاهة.

ضحكا معا:

- في الحقيقة أنا أعاني الجحيم ولكن كيف تطلبين مني أن أصبر أياما لأبوح لك بمكنونات قلبي.. إنني إذا لم أفعل فسأنفجر أنا وجراحي. أنا أحبك ولابد أن أقول لك ذلك الآن.

رن جرس التليفون فسارعت "شيرين" إليه ورفعت السماعة:

- ألو! "شيرين"؟ أنا "باري" إنني أتصل بك الآن بعد أن تم كل شيء

بسلام إن "باربي" لم تكن بخير على الإطلاق وكذلك قرر طبيب النساء والتوليد التبكير بعملية الولادة عن الموعد المنتظر والآن الأم والطفل في منتهى الصحة.. ثم هل تعلمين؟ لقد رزقت بولد !

- حسنا يا "باري" !

سأل "إيرول" :

- ماذا يجري ؟

- إنه "باري" لقد رزق بولد، وكل الناس على خير ما يرام. وأنت يا "باري" ماذا سميته؟

- "وليام باري هوليت" إنه اسم من أسماء الطبقات الراقية.. أليس كذلك؟ إنه طفل يزن كيلو جرامين ونصفا.. وأمامه الوقت ليكبر في الحجم وتبيض بشرته لأنه الآن أسمر. ومع ذلك أجده رائعا وغير عادي.. لقد تصرفت "باربي" مثل الملكات .

تدخل "إيرول" في الحديث :

- قولي له: إننا سنزورهم بعد الظهر.

- هل أنت واثق بأنك ستتحمل الرحلة يا "إيرول"؟

- نعم وأمامي موضوعان أقضيهما في "جاسبر" .

قالت في سماعة التليفون :

- "باري"! هل لازلت معي على الخط؟ حسنا لأننا أنا و "إيرول" سنصل.

- خرافي! إنني أنتظركما بفارغ الصبر. وأخبري العمة "باتي" بمولد الصغير.. موافقة؟

- اعتمد علي! إن عائلة "شيروكي" الكبرى ستكون على علم بمقدم "وليام باري هوليت" في غمضة عين وأفكر أن أرفع راية على سطح "ميراج" أعلن عليها الخبر السعيد. كم أنا مسرورة يا "باري"! قبلاتي للجميع ولـ"باربي" وإلى اللقاء قريبا.

بعد أن أنهت المكالمة التفتت إلى "إيرول" وصاحت :

- إنني أوشك أن أجن من الفرح يا "إيرول"؛ نحن نعيش الآن أجمل لحظات حياتنا سأتصل بالعمة "باتي".

قاطعها "إيرول" :

- بمناسبة العمة العزيزة.. أعتقد أن اللحظة حانت لأن نكشف لك عن سرنا الصغير الذي يربطني بها.

- أخيرا !

- هل تتذكرين يوم السبت عندما خرجت أتمشى منذ بزوغ الفجر ؟

- إنني أذكر ذلك تماما.

- لقد قابلت العمة "باتي" في المدينة. وثرثرنا معا في هدوء . عندما وقفت حافلة خط "جاسبر" أمامنا في الميدان. لقد كانت أمتعتي موجودة في مخزن السيارة. لك أن تتصوري دهشتي.. لم أكن أظن على الإطلاق أنهم سيعثرون علي بهذه السرعة، ثم كانت هناك حجتي للبقاء عندك حتى تصلني الأمتعة. ولسوء الحظ لم يكن لي رغبة في الرحيل لأنني كنت منجذبا بشدة نحوك. لقد أحسست ساعتها أننا نعيش مغامرة لا مثيل لها. لذلك قبلت عرض العمة "باتي" ووضعت أمتعتي في حجرة غير مشغولة من منزلها ما رأيك؟ هل أنت غاضبة ؟

- ما هذا الهراء. إنني أفهم الآن لماذا كنت تقدم المشروبات مجانا للعمة "باتي" !

- هل أنت حانقة علي ؟

- وكيف أحنق عليك وأنت حب حياتي ؟

- ألن نتناول الغداء هذا العام؟

تبادلا الضحكات وكأنهما طالبان في الجامعة .

الفصل التاسع

تأثرت العمة "باتي" لأقصى حد من مولد الطفل حتى إن "إيرول" و"شيرين" اقترحا عليها أن تصحبهما إلى مدينة "جاسبر".

انتهزت "شيرين" الرحلة لتسأل العجوز إن كان من الممكن أن تعثر في شقتها على حجرة تستطيع أن تفتحها كمشغل خياطة.

عندما رأت الشرود والشعور بالذنب باديين على وجه العمة. انفجر "إيرول" في الضحك المجلجل واعترف لها بأنه كشف مؤامرتهما لـ"شيرين". وبينما هو يشرح للعمة "باتي" أنه و"شيرين" سيتزوجان في القريب اعتقدت الشابة أنها ستختنق. سألته في دهشة:

- نحن؟ سنتزوج ؟!

- ولكن هذا واضح مادمت أحبك وأنت تحبينني فما الغرابة في أن نتزوج ؟

قالت العمة "باتي" بصوت ممطوط:

- إنه أمر عادي! كنت أعرف أن الأمور ستنجح بينكما. أوه إنهما سيتزوجان! يا للروعة !

- أترين يا "شيرين"؟ إنها مسرورة .

- وأنا كذلك .

ابتسمت "شيرين" وهي تتساءل: ما سبب ما تحسه بداخلها من تحذير مادامت ترى أنه يريد الزواج بها؟ طبعا كان من الواجب عليه أن يسألها رأيها والأكثر من ذلك أنهما لم يناقشا مشروعاته في المستقبل. بل إنها غير متأكدة إن كان سيبقى في "شيروكي" أم لا. إنها لا تتصور أن تترك هذه البلدة الصغيرة التي هي في الحقيقة مجرد كفر ومع ذلك فهي تعشقها وكذلك ملهاها.

قالت في نفسها في حكمة: إنهما سيناقشان الأمر فيما بعد أما الآن فالمهم أن عليها أن تتمتع بفكرة أنها يمكن أن تتزوجه.

عندما وصلوا إلى المستشفى توقف الثلاثي عند محل هدايا يقع في قسم الحمل والولادة دهشت "شيرين" وهي ترى "إيرول" يشتري كرة قدم للرضيع.. ثم انضموا إلى "باري" الذي احتفل بهم ثم جعلهم يلصقون وجوههم في الحاجز الزجاجي الذي يعرض خلفه المواليد الرضع.

قالت "شيرين" في حنان:

- كم هو ضئيل ..

- إنه صغير وجميل.. وذقنه صغير وشجاع.. إن هذا الطفل الصغير سيصل إلى أهدافه.

أما "إيرول" فلم يقل شيئا وإنما لوى عنقه محاولا أن يرى في ذلك الذي يتغزلون فيه أي أثر لشيء إنساني. قال له "باري" شارحا:

- عندما تنفرد تجاعيد وطيات جلده ويذهب اللون الأحمر من بشرته أؤكد لك أنه سيعجبك .

قال له "إيرول" :

- إن له أنفا ظريفا جدا ودقيقا.. وماذا عن شعره متى يظهر؟

قالت العمة "باتي" في عصبية :

- هل تظن أنه سيولد والشعر نام على صدره؟ ثم انظر إلى يديه.. إنه بذرة لاعب كرة ممتاز.

- مؤكد وقد توقعت ذلك فأحضرت له هذه الهدية.

عندما أخرج "إيرول" كرة القدم توطدت علاقة الشابين في الحال. همست "شيرين" لأنها لم تفهم سبب حب الرجال للكرة لهذه الدرجة :

- هؤلاء الرجال غريبو الأطوار .

سأل "باري" بعد أن أصبح الجو أكثر ودا :

- ما هذا الذي حدث لعينك يا "إيرول" ؟

تدخلت "شيرين" :

- أوه.. إنها حكاية طويلة.. هل نذهب لتهنئة "باربي" ؟

- نعم إن المسافة إليها لن تستغرق عشر دقائق. إنها في الغرفة رقم أربعمائة وعشرة. خبرني يا "ساجان" ما الذي حدث لعينك.

كان الأب السعيد مصرا على المعرفة. قال له "إيرول":

- لو قدمت لي شرابا فسأقص عليك كل شيء. هيا بنا ولنترك النساء مع بعضهن البعض.

- حسنا .. يمكنك يا "شيرين" أن تخبري "باربي" بأننا لن نتغيب طويلا .

- حسنا... اذهبا! إن النساء يتفاهمن معا جيدا.

قال "إيرول" لـ"باري":

- أنت آخر من يعلم: أنا و"شيرين" سنعيش للأبد معا.. إننا سنتزوج!

- يا لها من فكرة جميلة. والمرة القادمة عندما نحضر إلى هنا فسيكون طفلك خلف الزجاج!

صاح "إيرول" و"شيرين" في صوت واحد :

- هل ما نسمعه صحيح ؟

قال "باري" :

- تعال يا "ساجان" معي.. وأمام أقداح الشراب المنعش سأشرح لك كيف نصنع الأطفال.

ابتعدا وهما يثرثران ويضحكان كشخصين متآمرين. وعندما طلبت "باربي" من "شيرين" والعمة "باتي" أن يتركاها لحلول موعد الرضاعة لم يكن المتآمران قد عادا بعد. صحبت "شيرين" العمة "باتي" إلى الكافتيريا حيث تناولا القهوة. ثم صعدا إلى قسم الأمومة حيث أخبروهما أن "باربي" نائمة.

انتظرتا وهما تشعران بالملل وظلت كل منهما تتطلع إلى ساعة يدها في قلق. بدأت "شيرين" تقلق لأن الطريق إلى "شيروكي" طويل وهي متمسكة بأن تفتتح "ميراج" في الساعة المحددة. طمأنتها العمة "باتي" عندما رأتها تذرع الدهليز حتى تتغلب على توترها .

- إنهما سيعودان في الحال.. لابد أن يحتفلا بالمناسبة .

- هل تظنين أنهما سيثملان من الشراب؟

- لن يدهشني ذلك.

- لا ينقصنا إلا هذا! ماذا سيجري لي؟

عند عودتهما بعد ساعة دون إنذار. لم يكن "باربي" ولا "إيرول" ثملين على الإطلاق.

قال "إيرول" دون مقدمات :

- إلى السيارة! إن أمامنا بالضبط الوقت الكافي للوصول إذا أردنا فتح أبواب الملهى في الساعة المحددة. إلى اللقاء يا "باري"!

- أطلعني على الأخبار أولا بأول يا "إيرول" وشكرا على الزيارة لكم جميعا. وإلى اللقاء للاحتفال بالمناسبة السعيدة في البيت.

- أسرعي يا "شيرين"!

تميزت الشابة غيظا من وقاحته. إنه يتركهما ساعات تغليان من الغيظ والآن لا يتيح لهما الوقت للتنفس، ودت لو حولت عينه الأخرى للون الأزرق. أخذت العمة "باتي" ترمق العاشقين في مكر وبدأت تعد لكل منهما الأهداف الفائزة. ولحسن الحظ ظل المرح يسود الجو بسبب خفة دم السيدة العجوز. وعندما تركت السيارة اندفع "إيرول" بسرعة مميتة حتى وصلا الشقة. قالت له :

- لن يكون لدينا وقت لإعداد عشاء كامل.. هل تكتفي بطبق عجة؟

- نعم وساعد المائدة أثناء ذلك.

قالت وهي تفتح دولاب مطبخ ثم دولابا آخر:

- على أية حال لدي الوقت لنثرثر.. أوه إنني أتساءل: أين ذهبت الحلة؟

- الحلة؟ إيه.. إيه.. حسنا.. انظري. لقد عثرت عليها.. إنها كانت داخل الفرن.. وهي متسخة.. يا للهول!

- أنت تبالغ يا "إيرول" وأنا التي أعتبرك رجل البيت.

- ولكني فعلا هكذا. وأؤكد لك ذلك. وسأثبته لك.. ناوليني الأواني وفي حركتين أو ثلاث تصبح حلتك أنظف من الطفل الذي أخذ حماما لتوه.

- بالمناسبة هل تتكرم وتخبرني كيف قضيت أنت و"باري" كل تلك الفترة ؟

- حسنا.. لقد كنا نتناول مشروبا وطنيا رائعا وناقشت أنا و"باري" مشروع إضافة نشاط المطعم للملهى.

- يبدو لي أن عليك أن تقدم لي مقايسة أولا.

- إنني أعمل في مقايستك هذه . ثم إنها ضرورية ولا يمكن الاستغناء

عنها. ولكني استفدت من علاقات "باري" في "جاسبار" ليقارن بين الأسعار ويستعلم عما يمكن أن تتكلف المواد لنقلها إلى "شيروكي". والأرقام متوفرة معي في جيب قميصي ولا يبقى سوى تحرير المقايسة بوضوح.

قالت "شيرين" بنبرة هادئة مثيرة للدهشة :

- فهمت.

- لقد كاد "باري" يطير فرحا بالمشروع. وهو يؤمن بجدوى التنويع في أنشطة "ميراج" ولكن لا تنسي أن تحضري لي دفاتر الحسابات.. ها هي ذي! انظري الآن إلى الحلة.. أليس هذا عملا جميلا؟ لقد تخلصنا من كل الميكروبات.

- إنني أحب أن ألقي نظرة على المقايسة يا "إيرول" .

- طبعا! حسنا والآن سآخذ دشا بسرعة في الوقت الذي تعدين لي العجة لألتهمها عند خروجي من الحمام.

اختفى فجأة.. نظرت "شيرين" مرة إلى الحلة ومرة إلى الباب وكأنها تريد أن تلقيها عليه ولكن بدلا من ذلك أفرغت غضبها في تكسير البيض ثم خفقه. فكرت أنها كانت توشك أن تموت في سبيل أن يبقى وها هو الآن يعاملها ككم مهمل. لابد أن هذه وسيلته ليشعر بأنه على راحته وفي بيته. وليستعيد ثقته بنفسه.. هكذا الحب لابد أن يحدث خسائر.

رأت بخيالها ذلك الرجل الوحشي مرة ثانية على عتبة حجرتها وقد أمسك بالزهور البرية في يده يحدثها عن حبه.. لقد محت هذه الصورة كل غيظها وحنقها عليه. قال الرجل الذي يحتل أفكارها وشكوكها وهو يظهر فجأة :

- هل أعددت العجة ؟

- نعم .

- رائع! إن امامنا فقط ما يكفي من الوقت لالتهامها.

كبحت "شيرين" جماح اندفاعه وهي تجلس امامه.

- لابد ايضا ان نبحث بعض النقاط المهمة .

- موافق ولكن فيما بعد. خبريني ولكن بحذر لان قلبي ضعيف، ما الزي التنكري المفروض الليلة.

- الشعار هو "اصدقاؤنا الحيوانات".

- لا !

- بل نعم. خمن اي حيوان اخترته .

- هل ستتنكرين في صورة فتاة جوز الهند ؟

- إنها ليست من الحيوانات. هيا!

- حيوان ذكي إذن؟ تنين؟

- هذا ليس حيوانا. إنني ببساطة ساتنكر في زي ثعلب.

- يا إلهي! لقد فزت .

- لماذا ؟

- لان الثعلب في الحقيقة داهية. إنه حيوان حقيقي فعلا ويسعدني ان اتصورك تروغين بين الموائد او خلف البوفيه ملفوفة في فراء احمر .

- اطمئن فإن الرداء من البوليستر الذي لا يتشرب العرق .

- وهل هذا الرداء يضيء بلمبات ١٢٠ او ٢٢٠ فولت ؟

- إنك تخلط بينه وبين رداء راقصات "هاواي" إنه باللون الاصفر ويضيء من الداخل ونتبختر به ونحن نغني اغاني جميلة. وكما ارى فإنك متلهف. لذلك ساجري لارتدي زي الليلة المضيء ولا تتحرك إلا عندما اناديك. اتفقنا؟

بعد خمس دقائق تصاعدت من الغابة المصطنعة من النباتات في حجرة المعيشة اصوات معروفة للثعلب والثعلب الزعيم "إيرول ساجان"

يندفع وسط الخضرة ليقف فجاة مذهولا. راى امامه الثعلبة الصغيرة المحبوبة وقد اقتصر فراؤها الاصفر المضيء على تغطية الاجزاء المهمة من جسدها.

لقد ازدادت "شيرين" فتنة في ذلك الثوب التنكري.

سالته :

- ما رايك يا عزيزي ؟ هل اعجبك؟

- نعم يا "شيرين".. إنه مؤثر ولطيف ويغري الإنسان على حمايتك وليس لمسك .

- إنه مناسب وعلى اية حال لن تقابل مشاجرات في "ميراج"، لانني انذرك بانني لا احب ا ن تحدث فضيحة .

- موافق وهيا بنا .

###

إذا كانت "شيرين" قد خرجت من بيتها وقلبها يطير فرحا إلا ان مسلكها تغير في الحال عندما رات لافتتين معلقتين الاولى على باب الملهى تعلن وصول "ويليام باري هوليت" إلى كوكب الارض.. والثانية إعلان عن الزواج قريبا بين "شيرين كول" و"إيرول ساجان" ودخول الفردوس. بالطبع اصبح الملهى بعد ساعتين خلية ضخمة من الاحتفالات، حيث كان الموسيقيون والراقصون والسقاة والساقيات والشاربون يصخبون بكل ما لديهم من قوة.

ابتسمت "شيرين" بالطبع ولكن في داخلها كان جهازها العصبي قد توتر تماما من القلق المستمر: قلق من ان تندفع منخفضة الراس في الزواج. وكلما تقدمت السهرة فإن اعصابها تاخذ في الاسترخاء خاصة امام السؤال الذي طرحه "شانكي" على "إيرول" عندما قال :

- مشروعاتك يا "إيرول" ؟ هل ستبقى في "شيروكي"؟ لا تقل: إنك

سترحل إلى المدينة الكبيرة وتصحب معك "شيرين"!

رد عليه "إيرول" بابتسامة واسعة :

- لقد صدق حدسك يا "شانكي" سنبقى في "شيروكي" انا و"شيرين". إن المدينة الكبيرة ليس بها ما تقدمه لنا. ثم لا تردد ذلك على أحد. والاهم انك في المدينة الكبيرة لن تستطيع أن تتعارك كما حدث في المرة الأخيرة دون أن توضع في السجن .

انطلق الرجلان في الضحك. وضعت "شيرين" الصينية الخاصة بـ"كارمن" وعليها طلباتها وكانت الساقية مرتدية زي نمرة. اخذت "شيرين" تتلذذ بسعادتها وهي لاتزال تتساءل مرة اخرى: لماذا لم يخبرها زوج المستقبل بشيء؟

صاح "إيرول" في حماس عندما اصبحا بمفردهما ينظفان القاعة :

- أوه! يا لها من سهرة !

كزت "شيرين" على اسنانها وافرغت غيظها في تنظيف إحدى الموائد التي وجدت أنها لا تريد أن تلمع. وعندما انتقلت للمائدة الثانية كان "إيرول" قد ادرك أن وراء صمتها شيئا ما .

- الا تسير الأمور جيدا معك يا "شيرين"؟ إنني اراك شاحبة ومتوترة.

- افضل أن نتحدث في ذلك في البيت .

احترم "إيرول" صمتها حتى عبرا عتبة الشقة وإن لم يمنعه ذلك من أن يراقب عبوسها بطرف عينه من حين لآخر. عندما اغلقا الباب بالمزلاج وقف وقد دس يديه في جيبي بنطلونه ثم قال :

- انا مستعد يا "شيرين" ما الذي يثقل قلبك؟

- اسمع.. وحاول أن تفهم.. لقد أسقطتني من حسابك عندما سمعتك تتحدث مع الآخرين عن مشروع العمر وهو حياتنا المشتركة. لقد أعلنت على العمة "باتي" اننا سنتزوج في الوقت الذي لم تطلب الزواج بي.

وعرضت على "باري" بطريقة واضحة مشروعاتك للتوسع ولم تعرضها علي. ثم إنني لم اعرف اننا سنمكث في "شيروكي" إلا عندما قلت ذلك لـ"شانكي" إنني اجهل كل شيء عن مستقبلنا المشترك لسبب بسيط، وهو انك لم تحدثني عنه على الإطلاق.

- هل انت غاضبة لاننا سنتزوج وسنتوسع في ملهاك ولاننا سنبقى في "شيروكي" ؟

- ولكن لا.. ليس الأمر كذلك بل إنني سعيدة جدا.

سالها في قلق :

- الازلت تريدين الزواج بي ؟

- طبعا لكن ...

- هل تريدين الحياة هنا ؟

- نعم ولكن .

- وإذا كنت ارى أن التغييرات في "ميراج" سينتج عنها ارباح اكثر.. هل يضايقك هذا ؟

- لا ولكن ..

ثار غاضبا :

- إذن لماذا تقيمين الدنيا وتقعدينها! آه!.. لقد قلت لك بوضوح: إنني لا اعرف كيف احب ولكن ما لا افهمه هو أن اسمعك تقولين: إن من الخطأ أن اختار ما سيجعلك سعيدة.. اشرحي لي ذلك يا "شيرين".

- إنك لم تفهم شيئا .

قال وهو يمرر اصابعه في شعره وهو حائر :

- بالتاكيد لم افهم شيئا. لقد كنت اعلم أن القرارات التي اتخذتها هي قرارات جيدة وانك ستوافقين عليها. ما الذي يجب أن افعله؟ انتظر حتى تبدئي انت بالحديث ؟

- احب ببساطة ان تجلعني جزءا من مشاريعك وان نتناقش على قدم المساواة .

- ولكن لماذا؟

- اسمع يا "إيرول". انت تعلم انني احبك وإلى اي مدى.. اليس كذلك؟ ومن يسمعك تتحدث عن مستقبلنا للآخرين في حين انك لم تناقشه معي بوضوح فإن ذلك يسبب لي الما. واشعر انني وحيدة في وحدة قاتلة .

- انت ماذا ؟

- إنني احس بانني بمفردي معزولة وضائعة وسط الصحراء. وإذا كنت احبك فإنني في نفس الوقت في حاجة إليك وفي حاجة إلى الحوار معك والمشاركة. لقد سادني إحساس وكانني اقف وراء حاجز زجاجي انتظر ما ستصبح عليه حياة إنسانة اسمها "شيرين كول".

تاوه "إيرول" :

- يا إلهي! لم يكن في نيتي على الإطلاق أن استبعدك. لقد اعتقدت انني اعمل الخير وهانا اعذبك واجرحك مرة اخرى ولما كنت اجهل كيف اتجنب ذلك فإنني اعود إلى ذلك مرة اخرى .

امام عذاب الشاب نسيت "شيرين" عذابها بل وصل بها الحال إلى ان كرهت نفسها لما سببته له من الام. ثم مادام من الواضح ان ذلك الرجل الوحيد تعود على اتخاذ قراراته بنفسه فإن الامر يتطلب وقتا حتى ينسى تلك العادة .

- أرجوك سامحني يا "إيرول" !

- انت تطلبين مني السماح في الوقت الذي ارتكب فيه في حقك حماقة تلو اخرى.

- وانا كذلك ارتكب حماقات. اترى اننا بدانا نحن الاثنان نتعلم كيف نحب ونتشارك. فلنتعلم ايضا كيف نتناقش حول الافكار التي تخطر

على بال كل منا بمفرده.

على اية حال في استطاعتي أن اطرح عليك اسئلة. اليس كذلك ؟ عندما يقيم المرء حوارا مع المحبوب فإنه يشعر دائما انه ليس بمفرده... ليس وحيدا.

قال لها وهو يفتح لها ذراعيه :

- تعالي يا "شيرين".. انا احبك.

جرت والقت بنفسها بين ذراعيه القويتين. لم يحاول "إيرول" ان يخفي الدموع التي لمعت فوق عينيه كاللآلئ وقال بصوت مضطرب:

- احبك كثيرا.. انت حياتي! وقد علمتني كيف احبك.

- لقد تعلمنا معا يا عزيزي كيف نحب .

الخاتمة

عندما وصلت "شيرين" إلى قمة التل ملات رئتيها بالهواء النقي المنعش المختلط برائحة الزهور البرية. ثم وضعت كفها امام عينيها لتحجب عنهما اشعة الشمس واخذت تعجب بهيكل بيت ضخم يجري إنشاؤه. صاحت :

- "إيرول"!

- نعم ؟

- لقد أحضرت سلة الرحلات .

- ساتي بسرعة .

راقبته وهو يتقدم نحوها بفرح مخلوط بالسعادة كان في ملابس العمل يمثل الرجولة الخارقة وقال :

- صباح الخير يا سيدة "ساجان" .

- كيف حالك يا سيد "ساجان" ؟ هل يتقدم البناء ؟

- نعم.. إن التصميم كبير ويحتاج إلى وقت ولكني سعيد للغاية لانني حصلت على الترخيص بالبناء فوق تلنا! يا اميرتي! إنه سيصبح مملكتنا .

جلسا معا فوق العشب. ورفعت "شيرين" غطاء السلة الكبيرة. ثم تساءلت في دهشة :

- اين ذهب "كاستور" ؟

- لقد ذهب ليحضر الأسلاك النحاسية من "جاسبر" وقد رافقته "كارمن" بالطبع.. ومن الصعب تحديد موعد عودتهما . هل تريدين بعض عصير التفاح؟

- نعم إنه عيد زواجنا .

- لا.. إنني اعرف بالضبط موعد زواجنا.. هل تمتحنينني ؟

- بل أؤكد لك انه اليوم لأنه في مثل هذا اليوم تصارحنا بالحب فوق هذا التل بالذات.

- إذن ساشرب في صحة حبنا وسط الزهور.

- الم نحصل على سنة غير عادية من وقتها؟ لقد تعلمنا الحب ونجحنا .

- لنكن متواضعين.. لقد تعلمنا كيف ننجح.. ولكن الحق معك في انها سنة غير عادية. ففي "ميراج" يقدم الغداء والعشاء. وبيتنا يجري إنشاؤه وشقيقك وصهري عندما رأى مدى حبنا وسعادتنا لم يغادر "شيروكي" .

- هذا ليس بفضلنا وإنما بفضل "كارمن" . إنه يحبها لدرجة تفقده صوابه.. إنني اتعجل طلبه الزواج بها.

- نعم.. وبالمناسبة لم أطلب منك الزواج.. حسنا هل تريدين ان

تصبحي زوجتي ؟

- لقد تم ذلك من قبل .

- نعم ولكني أحاول إصلاح حماقات الماضي .

- نحن الآن نناقش معا مشاريعنا المشتركة. وبادق التفاصيل.

- هل هناك ما يستلزم المناقشة ؟

- نعم .. أريد طفلا !

تمت